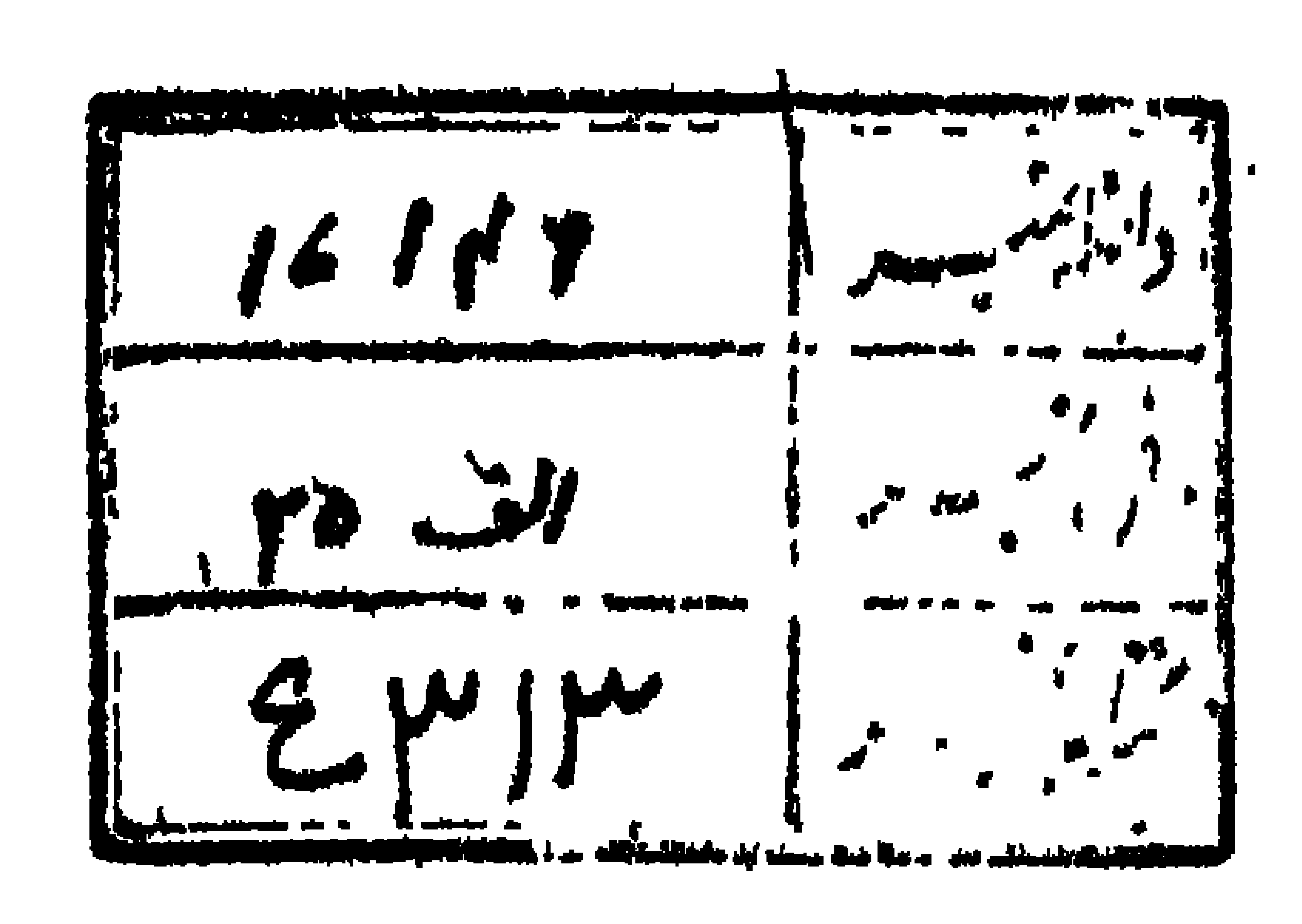
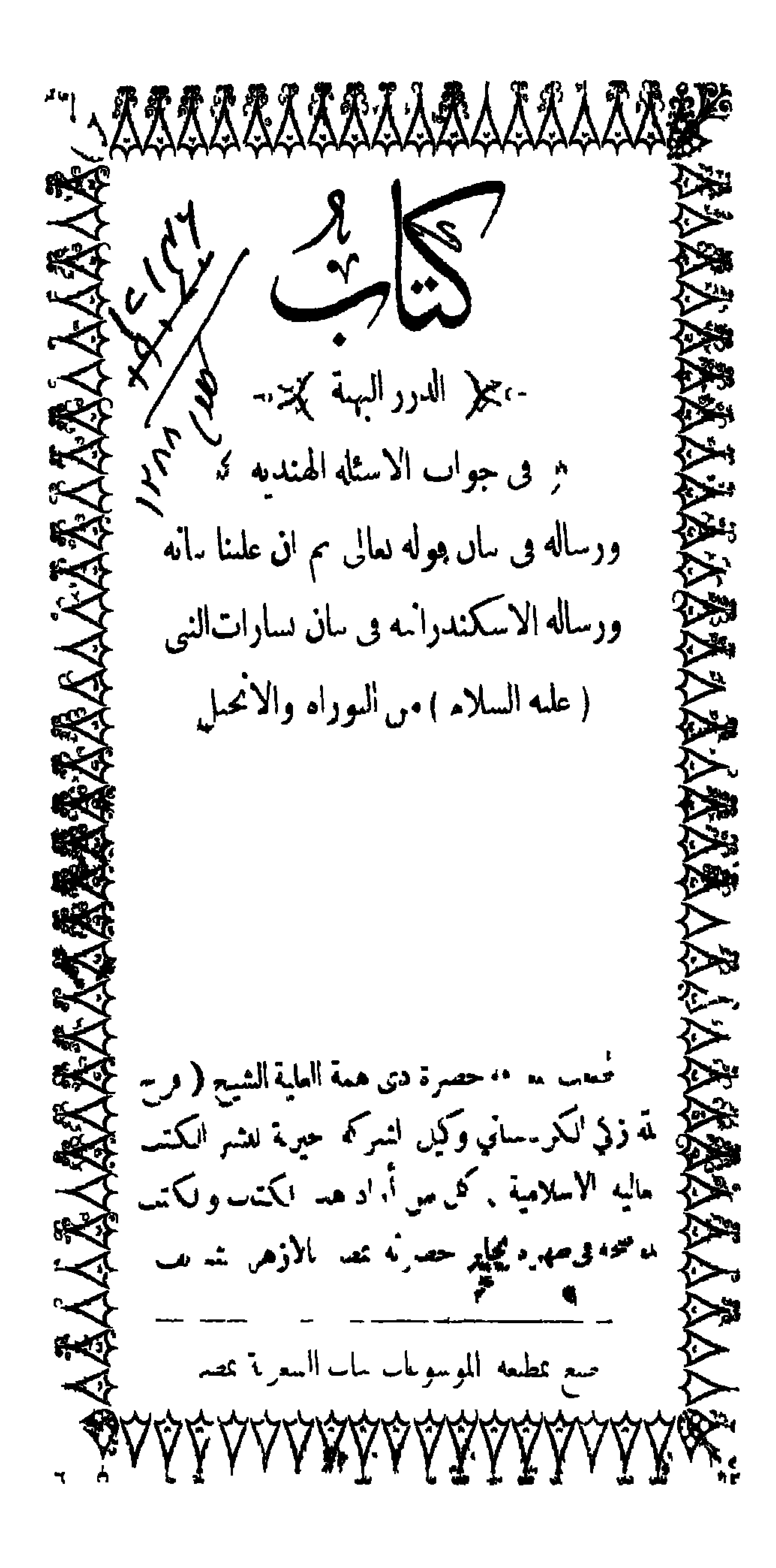




كتاب

الدرر البهية

في جواب الاسئلة الهندية

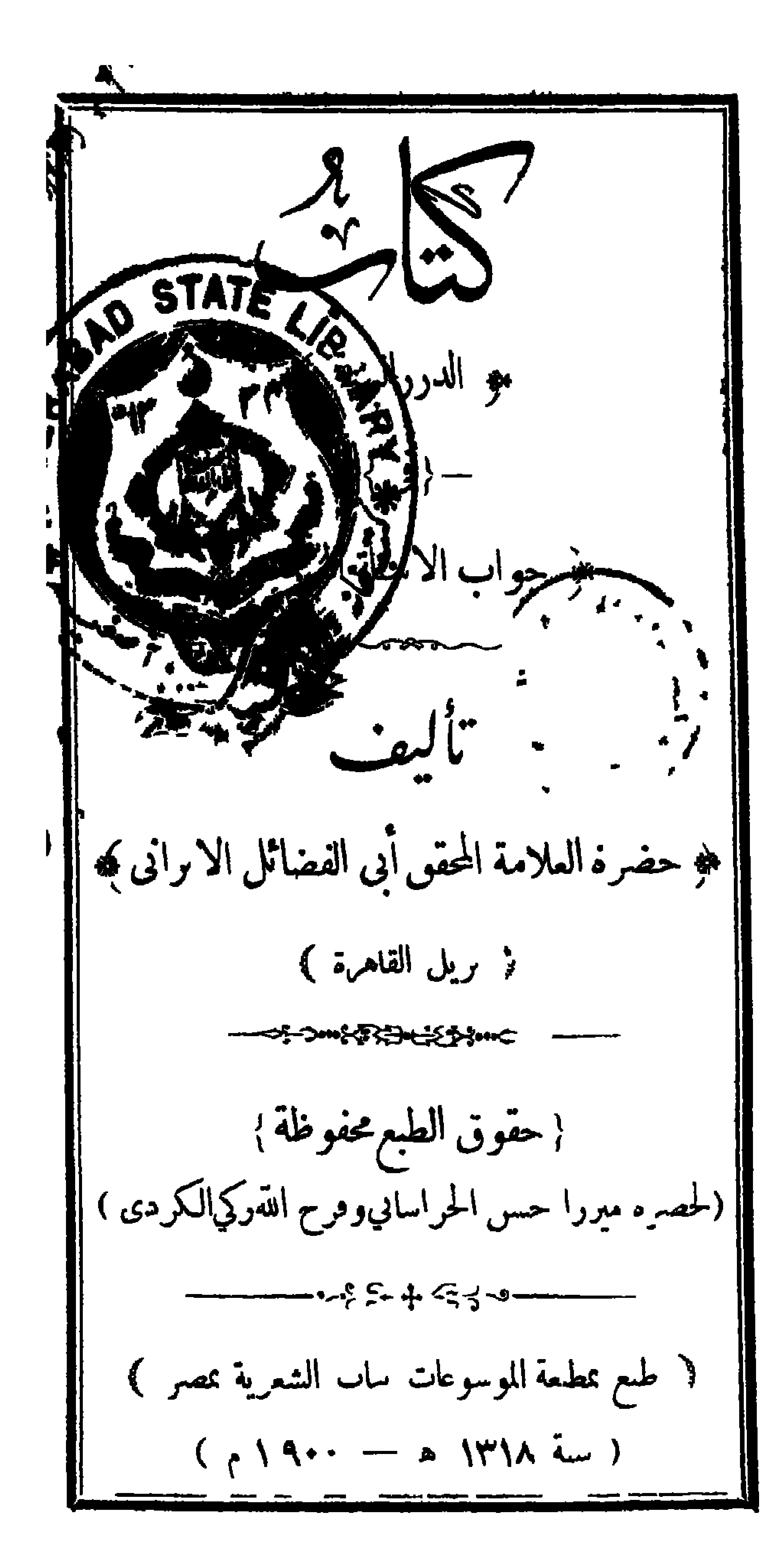
ورسالة في شان قوله تعالى ثم ان علينا بيانه

ورسالة الاسكندرانية في شان بشارات النبي

(عليه السلام) من التوراة والانجيل

طبع على نفقة حضرة ذي الهمة العالية الشيخ (فرج
الله زكي الكردستاني وكيل الشركة الخيرية لنشر الكتب
العالية الاسلامية . فكل من أراد هذه الكتب وباقي
مطبوعاته في مصر فعليه بمحل حضرته بمصر بالأزهر الشريف

طبع بمطبعة الموسوعات بباب الشعرية بمصر



كتاب

الدرر ...

... جواب الا...

تأليف

حضرة العلامة المحقق أبي الفضائل الايرانى

(نزيل القاهرة)

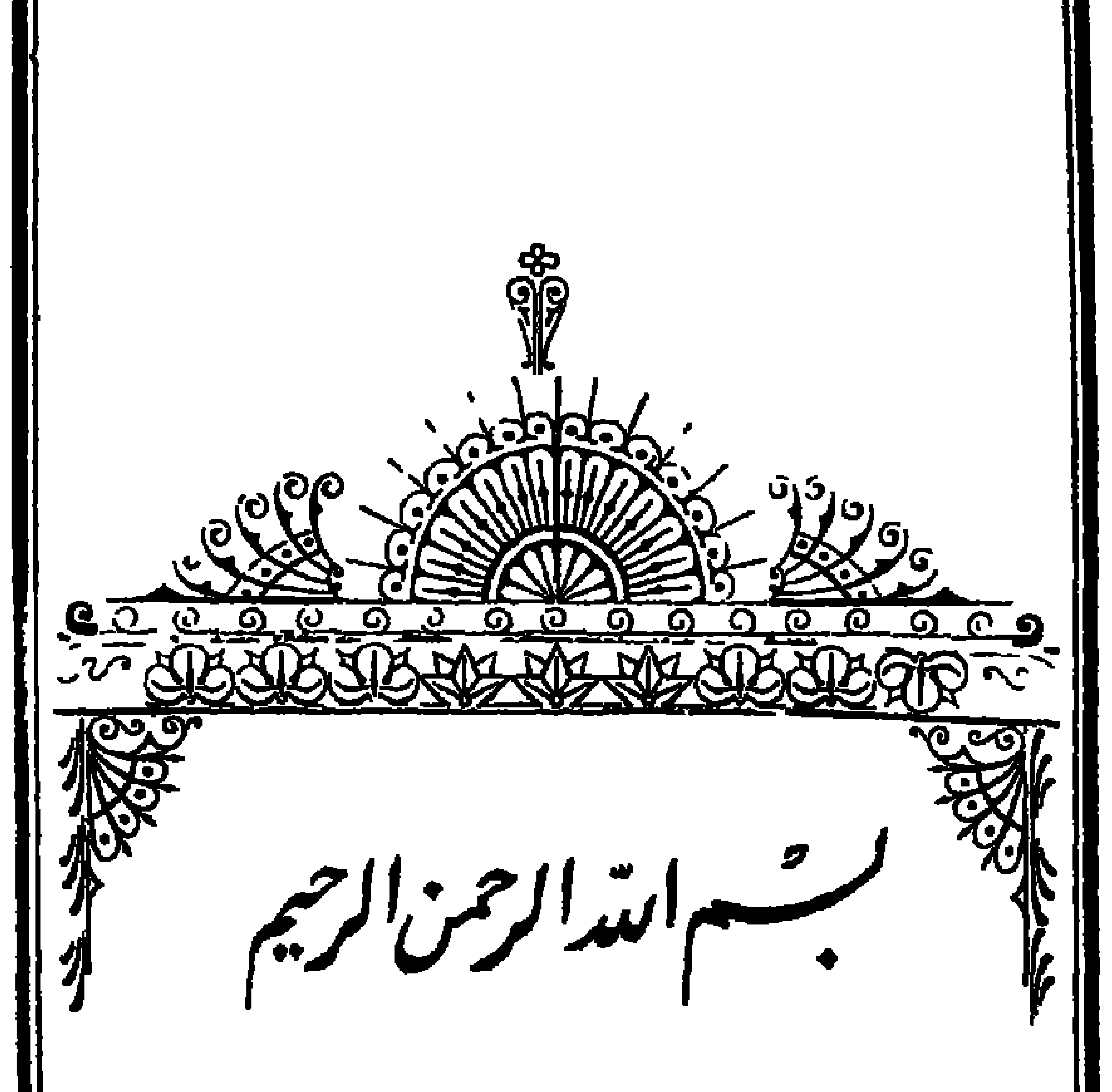
(طبع بمطبعة الموسوعات بباب الشعرية بمصر)

(سنة ١٣١٨ هـ — ١٩٠٠ م)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حمداً لمن أضاء بأنوار وجهه آفاق الأكوان • وشكراً لمن زين نوع البشر بين الخليقة بجواهر العلم والتبيان • وثناء وسلاماً وتحية واكراماً على أول نور انبعث من ارادة ربه الرحمن • صاحب المقام المحمود • واللواء المعقود • والحجة البالغة على كل من في عوالم الغيب والشهود • آية الله بين خلقه • وحجته القائمة على عباده • وكلمته المقدسة الظاهرة بعد غيبة ذاته • وعلى آله وأصحابه وتابعيه وأحبابه الذين طابت سرائرهم بما وفوا به من كلمة العهد والميثاق • وتنورت ضمائرهم بما توجهوا الى شمس صفاته وأسمائه بعد الاشراق • وبعد فيقول الفقير الى رحمة ربه الغني فرج الله زكي الكردى الازهري لما رأيت رسالة جواب الأسئلة الهندية التي صنفها العلامة المحقق أبو الفضائل محمد بن محمد رضا الايراني بلغ الله المسلمين به الى أعلى المقاصد وأجل الاماني رسالة مشتملة على غرر من المطالب العلميه العالية ونخب من المسائل الدينية والتاريخية والفلسفية السامية مما لا يستغني أرباب الفضل

عن معرفته واقتنائه وادراكه واستقصائه خصوصا في هذا الزمان الذي زاد وكثر فيه اختلاط القبائل والملل وتفاقمت واتسعت مناظرات أصحاب المذاهب والنحل وقد رأينا في هذه الرسالة مع وجازتها واختصارها مما يبين حقيقة الدلائل والبراهين ما لايوجد في غيرها من كتب أساتذتنا المتقدمين والمتأخرين خصوصاً في بيان ماهية المعجزات المروية عن الأنبياء والمرسلين وخوارق العادات التي يعزوها كل أمة الى رؤسائها الروحانيين فرأينا كالواجب علينا أن نقوم بطبعها ونشرها ليتيسر لكل طالب اقتناؤها ويسهل على كل مستفيد ادراكها خدمة للعلم وأهله ومساعدة للفضل وذويه فقمنا بفضل الله وعونه بطبعها ونشرها مع حضرة السيد الجليل النبيل فخر التجار الحاج شريف ميرزا حسن الخراساني بلغه الله الى أشرف المقاصد والاماني وقد شرح الفاضل المصنف ماغمض من مسائلها فأضفناه اليها تحت كل صفحة على سبيل الحاشية وأوضحنا ما أبهم من لغاتها وما يحتاج الى التفصيل من مجملاتها فنرجوه تبارك وتعالى أن ينتفع به أهل الاستعداد ويستضيء بنبراسه أصحاب الرشاد • ويجعله ذخراً لنا في يوم التناد • انه هو ولينا في المبدأ والمعاد



أحمد وأشكر ربنا العليّ الاعلى . وأسبح
وأسجد لوجهه الاقدس البهيّ الابهى . وأصلي
وأسلم على مشارق نوره ومطالع أنوار ظهوره
بين الورى . سيما الفرع الكريم . المنشعب من
الاصل القديم . السر القويم . المنبعث من ارادة
ربه الرحمن الرحيم . جعلنا الله من المستظلين
تحت لوائه . المنخرطين فى سلك أوليائه وأحبابه .

(مولى أعاد نخار الاولين وقد)
(أقام للمجد صرحا ليس ينهدم)
(لا زال فى ذروة العلياء مرتقياً)
(ما نحت فى روابى روضه النسم)

بعد الحمد والصلاة يقول العبد الضعيف أبو الفضل محمد بن محمد رضا الجرفادقانى الايرانى ان حضرة العالم الفاضل نور الدين أحد علماء الهند المعروفين جعله الله تعالى وايانا من المتنورين بنور اليقين سألنا عن بعض مسائل دينية وعلمية مما يتعلق بعضها بالمسائل التاريخية القديمة العتيقة مما لا تخفى على اللبيب وعورة مسلكها وغموض مدركها لتقادم عهدها وانعدام مهدها ودروس آثارها وزوال أنوارها فرأينا أن نجيب حضرته بما وسعه علمنا وأحاط به فهمنا راعين جانب الاختصار معترفين بقلة البضاعة وعدم المقدرة على المسابقة فى هذا المضمار ونسأل الله تبارك وتعالى

فى فاتحة القول أن يحفظنا بفضله من الزلل فى الرأى والشطط فى الخطاب انه هو ولينا فى المبدإ والمآب .

المسألة الاولى

سأل حفظه الله عن اعتقادنا فى عمر نوح عليه السلام هل هو كما نزل فى القرآن الشريف عاش تسعمائة وخمسين عاما أو له معنى آخر

الجواب

اعلم أيها السائل الفاضل يسر الله لنا ولكم الوصول الى أقرب الوسائل وأتقن الدلائل أن لاهل العلم فى أمثال هذه المسائل نظرين ديني وعلمي .

{ أما النظر الدينى } فمعلوم أن كل من اعتقد بحقية رسالة سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن القرآن الشريف كتاب الله الذى نزل من السماء اعتقد بالضرورة بصحة جميع ما ورد فى

هذا الكتاب الكريم وصدق ما نزل فى هذا
السفر العظيم سواء كان قريباً من أفهام الناس أو
بعيداً عنها ما لم يحكم العقل الصريح باستحالته ولم
يقم قاطع البرهان على امتناعه * ومن له أدنى المام
بالادلة العقلية والقياسات المنطقية يعرف بالبداهة
أن غاية ما يذكرونه فى مسألة طول أعمار
الاقدمين انما هو من قبيل الاستبعاد العادى
لا الاستحالة الحقيقية والامتناع العقلى اذ لم يقم
أدنى دليل قطعي على استحالة طول الاعمار اكثر
مما هو مألوف فى هذه الاعصار * خصوصاً فى أهل
الأزمان القديمة والاعصار الغابرة التى انقطعت
يد الكشف والاستقصاء عن تحقيق أحوالهم
ومدد أعمارهم بسبب انقطاع تاريخهم ومحو آثارهم .
والعاقل اللبيب بمجرد الاستبعاد لا يحكم بخلاف
ما نزل به القرآن الشريف وصرح به الكتاب
المجيد إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ .

{ وأما النظر العلمى } فمعلوم أن العالم المحقق لا يذعن لامثال هذه المسائل الا بعد معرفة مصادرها ومقدار امكان الوثوق والاعتماد عليها. ومن المعلوم أن التواريخ القديمة المنبئة عن كيفية ابتداء الخلقة ليست الا أربعة تواريخ مما تعتبره الامم الكبيرة وتستمد من مصادرها الملل العظيمة* وهى تاريخ البوذية (أهالى الصين) وتاريخ البرهميه (سكان الهند) الاصليين وتاريخ الزرتشتية (أمم الفرس الاولى والاكاسرة العظمى) وتاريخ العبرية أى اليهود ومن اعتبر صحة رسالة موسى* ومن عجيب ما يتنبه اليه المتبصر أن هذه التواريخ المذكورة مع اختلاف مفاهيمها اختلافاً لا يرجى جمعها وتطبيق بعضها على بعض وبعد مشارب أهلها والتفاوت الفاحش فى أزمانها والاختلاف الواضح بين الاسماء والحوادث المذكورة فيها اتفقت فى مسألتين وهما طول أعمار الاولين طولا مفرطاً

عما هو معهود فى أعمار الآخرين ومزجها بحكايات أشبه بالاقاصيص الخرافية عند المحققين وبعميات وأحاجى ورموز عند المعتدلين .

أما تواريخ البوذية والبرهمية والزرتشتية فلا يوجد فيها ذكر من آدم وحواء ولا شيث ونوح وأمثالهم ولا قصصهم ووقائعهم ولا مايقارب هذه الاسماء بل وردت كل هذه الاسماء فى تاريخ العبريين فقط ومنهم انتقلت الى الامة النصرانية والملة الاسلامية * ولما صح عن النبي عليه السلام أنه قال (بعثنا معاشر الانبياء نخاطب الناس على قدر عقولهم) وكذلك (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله) كما نقله القاضى العلامة محمد ابن أحمد بن رشد الاندلسى فى كتاب الكشف عن مناهج الادلة فى عقائد الملة عن البخارى فلا يمكن للعالم المحقق والحالة هذه أن يستمد فى المسائل التاريخية عن الآيات القرآنية والاحاديث

النبوية* ومن المعلوم أن الانبياء ومظاهر أمر الله
عليهم السلام بعثوا لهداية الامم وتهذيب اخلاقهم
وتقريب الناس الى مرجعهم ومآبهم وما بعثوا
مؤرخين أو فلكيين وفلاسفة وطبيعيين فان
شؤونهم فى عالم الخلق كشأن القلب فى عالم البدن
شأن كلى وأثر عام . وشؤون العلماء فى عالم الملك
كشأن العضو المعين بين الاعضاء شأن خاص وأثر
مخصوص . ولذلك تساهل الانبياء عليهم السلام مع
الامم فى معارفهم التاريخية وأقاصيصهم القومية
ومباديهم العلمية فتكلموا بما عندهم وتفاوضوا بما
يلائمهم وستروا الحقائق تحت أستار الاشارات
وخدّروا حوريات المعانى فى قصور الآيات
وأسدلوا عليها ستائر بليغ الاستعارات فلا يشك
عاقل اذاً أن ماورد فى القرآن المجيد والفرقان الحميد
من كيفية بدء الخلقة ومناظرة الملائكة وقصص
آدم وشيطانه ونوح وطوفانه كلها حقائق تخبر

عما يتجدد فى مواعيد تجدد العالم ويتحقق فى مواقيت انقضاء آجال الامم بظهور الحقيقة المقدسة الاولية وتجدد الشرائع الالهية* فلا يجوز للمؤرخ من حيث العلم أن يعتمد على ظواهر هذه الآيات اذ لا يمكنه سد باب الاحتمال الراجح أن تكون لها معان عالية وتأويلات سامية غير ما هو مفهوم من ظواهرها ومسموع من مصادرها* وليس احتمال تأويل الآيات من شذوذ التصورات أو نوادر الاحتمالات حتى لا يعبأ به أرباب الفضل ولا يعتنى به أهل العلم بعد ما نزل فى الكتاب المجيد (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) وجاء فى القرآن الحميد (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) وبعد ما صح من الأثر الشريف واستفاض من السنة المأثورة أن لآيات القرآن

بطونا غامضة عميقة وتأويلات عالية دقيقة عرفها أهله وأدركها حملته من الله بكشفها على عباده الثابتين وأرقائه المخلصين * وليس المراد من التأويل الا المعانى الاصلية المقصودة مما ستره الله تعالى فى بطون الآيات وأخفاه تحت ستائر الاستعارات * وليس هذا من شأن البشر حتى يخوض فى غماره كل جاهل ويفسر الآيات برأيه كل خامل كما فعله بعض الجهلة بغرورهم وضلوا وأضلوا كثيراً بتفاسيرهم وأبعدوا الناس عن معين الحياة وأخفوا عنهم سبيل النجاة * بل هو من شؤون مظهر أمر الله ومنجز وعده كما صرح به فى الكتاب حيث قال (فَاذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) (١)

فاذا ثبت أنه لا يمكن للمؤرخ أن يستمد فى معارفه التاريخية من ظواهر آيات القرآن ولا

(١) وسيلحق تفسير هذه الآية الكريمة فى آخر الكتاب ويجب أن ينتبه اليه فانه فى غاية من النفاسة

ذكر انوح وأمثاله فى سائر التواريخ القديمة فلا
يبقى اذاً بين يدى المؤرخ الا التوراة وسائر
الكتب من العهد العتيق * والناقد البصير اذا أمعن
النظر فى هذه الكتب المقدسة مجانباً أمياله
المذهبية والتقاليد والآراء الملفقة القومية يرى
فيها قسمين مفروزين من التعليمات جديرين بمزيد
التوجه والالتفات

{القسم الاول} ما نسب فى الكتاب بانه
من الله وتكلم به الله أو أنزل من لدى الله ، وفيه
الاحكام والحدود والشرائع والسياسات والاخبار
عن الامور الآتية من قبيل الانذارات
والبشارات وأعظم هذه بشائر ورود (يوم الله)
وآثاره وآياته وعلائمه واشراطه مثل الكلمات العشر
فى أصل التوراة والنشيد والبركة الواردة فى أواخر
سفر التثنية وزبور داود وكتاب أشعياء النبي
وكتب يرميا ودانيال وحزقيل وزكريا وغيرهم

من أنبياء بنى اسرائيل • ومن أوتى بصيرة من الله وموهبة المعرفة والتمييز بين تصانيف البشر وآيات الله يعترف بان هذه الكتب كلها آيات الهية وكلمات سماوية وبشائر ونذر ربانية توقد وتضيء وتتألق من الشجرة المباركة الموسوية كسراج منير فى الليلة الليلى أو كنجم بازغ من السماء القصوى •

{والقسم الثانى} ما يخبر عن الامور التاريخية من كيفية ابتداء الخلقة وانشعاب القبائل وانبثاث الخلق على وجه الارض وتاريخ حياة الانبياء وحوادث أيامهم وتعداد الملوك ووقائع دولهم * كالتواريخ الواردة فى الاسفار الخمس من ابتداء خلقة آدم الى وفاة موسى عليه السلام وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتابى الصموئيل وكتابى الملوك وكتابى أخبار الايام وكتاب عزرا وكتاب نحميا وأمثالها من كتب المؤرخين وهذه

الكتب ليس فيها تصريح أو تلويح أو أدنى اشارة
بانها وحي سماوي أو كلام أو الهام الهي فلا يجوز
على المؤرخ أن يعتمد عليها ويجزم بصحة ما ورد
فيها . ويحلها محل الوحى السماوى الا اذا عرف
مصنفي هذه الكتب ومن يعرف مقدار اختلاف
العلماء في تعيين مصنفي هذه الاسفار والادلة التى
اعتمد كل فرقة منهم عليها في رأيه واعتقاده يعرف عدم
جواز الركون والاعتماد على صحة ما ورد فيها . ومن
الحماقة أن يعتمد العاقل الناقد على كتاب لا يعرف
بالتحقيق مصنفه ويحسب وحياً الهياً وكلاماً سماوياً
مالم يتعين بعد الفحص والتدقيق مصدره ومؤلفه *
مثلا اذا تصفحنا اقوال كبار العلماء في تعيين مصنف
الاسفار الخمس أصل التوراة وأساس التواريخ
العبرية نرى ثمة اختلافاً كبيراً لا يرجي بالكشف
والاستقصاء زواله ولا ينتهي الى ركن وثيق غايته
ومآله فان كثيراً من العلماء اعتقدوا بان مصنف

هذه الاسفار هو موسى عليه السلام ولكن يكذبهم
ويذهب بقيمة رأيهم ماورد فى آخر هذا الكتاب
من ذكر وفاة موسى وكيفية اقامة بنى اسرائيل
مناحة له بعد وفاته وثمّ شواهد أخرى تدل دلالة
واضحة على أنها صنفت بعد وفاة موسى بمدة غير
وجيزة وبعضهم ذهب بلا دليل يركن اليه الى أن
الفصلين الاخيرين من سفر التثنية من تصانيف
يوشع بن نون فانه صنفهما وأضافهما على الاسفار
الخمس التى صنفها موسى تتميما لمصنفاته وتكميلا
لتاريخ حياته وتوضيحاً لحال الشعب بعد وفاته .
وبعضهم قال ان هذه الاسفار من مصنفات يرميا
أو أحد غيره من أنبياء بنى اسرائيل وهذا القول
أيضاً كأقوالهم السابقة لا يخلو من ضعف التعليل
أو فقدان الدليل . وجماعة من المحققين ذهبوا
ولعلهم أصابوا (اذ لا يخلو هذا القول من قوة
نوعا) الى أنها من تصانيف عزرا الكاهن الذى

عبر عنه فى القرآن الشريف بعزير . فانه بعد مارجع
القوم من جلاء بابل بامر الملك الكبير اردشير
وبنى القدس الشريف وجمع شمل اليهود
وأحيي بيت داود طلب الشعب منه نسخة
التوراة وكان عزرا رجلا فاضلا . وكاتبا ماهراً .
وكاهناً ديناً . تعلم فى مدينة بابل في مدارسها
الكبيرة . وحاز معارفاً واسعة . وفنوناً نافعة .
على مقدار مابلغت سعة المعارف فى تلك الاوقات
فان مدينة بابل اذ ذاك كانت موئل المدنية .
ومشرق أنوار العلم والحكمة فكتب عزرا اجابة
لطلب الشعب كيفية ابتداء الخلقة وتفرق النسل
وانشعاب القبائل وانبثاث الخلق الى وفاة موسى
عليه السلام فى الخمسة أسفار وأدرج فيها ما أوحى
الى موسى من ربه وما شرع موسى (أو يوشع
كما يشهد به بعض عبارات السفر[1]) لانتظام
أحوال شعبه .

١ (اى اصحاح ٢٤ من سفر يشوع)

فاذا علم بالاجمال أن قصص نوح وأمثاله لم تذكر فى تواريخ الملل الكبيرة العتيقة . مثل الامم الصينية والفارسية والهندية . ممن لا يهان بسعة معارفهم . وقدم تمدنهم . وتقادم عهدهم . ووسعة ممالكهم . وانتشار مآثرهم . ولا يعلم بالتحقيق مصنف الاسفار الخمس العبرية . وعلم أيضاً أن سيدنا النبي وسائر الانبياء عليهم السلام كانوا لا يناقشون الناس فى عقائدهم التاريخية . وكانوا يتكلمون معهم بما عندهم من المعارف الموروثة القومية . علم بالضرورة أنه لم يبق مجال لاهل الاجتهاد والتحقيق أن يبتّوا رأيا فى هذه المسائل من جهة العلم . فاذا سد طريق الاجتهاد فما بقي ثمة الا وجهة الدين . والاذعان التعبدى لظواهر ما ورد من الانبياء والمرسلين .

ومن المدهشات التى تحير العالم الفاضل . وتجلب نظر الفطن العاقل . وتسيء الظن بما

كانوا يحسبونه من المسلميات وتوجب على المؤرخ
غاية الدقة فى الكشف والاستقصاء حتى على
ما يعدونه من البديهيات . انه الى يومنا هـذا
ماوجـدوا فى الآثار العتيقة المصرية ما يدل أدنى
دلالة على كون بنى اسرائيل فى مصر وقيام موسى
عليه السلام بينهم بالرسالة . وطلبهم النجاة من ظلم
الفراعنة بزعامته . وهجرتهم الى بر الشام تحت
رايته . وهم قوم حربيون يعد المحابون منهم ثمانمائة
الف أو يزيدون فاتبعهم فرعون بجنوده . وغرقوا
فى البحر بكفرانه وجحوده . مع أن الآثار
العتيقة المصرية كما يعرفه أهل العلم اكتشفت بها فى
هذا القرن من التواريخ الصحيحة ما أخنى عليه
الدهر وأخفاه مدة مديدة تحت حجاب كثيف
من الستر حتى محي ذكرها من الكتب والاسفار .
وتتابعت عليها القرون والادوار . الى أن أحياها
الله فى هـذا العصر المجيد الذى هو عصر ظهور

الاسرار . وطلوع نور الانوار . وزوال الظلمات المتراكمة الحائلة دون الانظار . فقام جماعة من أفاضل الغربيين . واكتشفوا من تلك الآثار العتيقة حقيقة تاريخ المصريين . فظهرت أسماء ملوكهم وفراعنتهم . وأفعالهم وأحوالهم . وعدة بيوتهم وعائلاتهم . ودياناتهم وعاداتهم . وآلهتهم ومعبوداتهم . فأحيت تلك الآثار للفراعنة ذكراً صريحاً . ورتبت لدولهم ترتيباً صحيحاً . ومهدت للتاريخ دوراً جديداً . وأسست للعلم أساساً سديداً . وكل هذه الآثار العتيقة . ورمم الفراعنة وجثثهم المحنطة . موجودة ومحفوظة فى متحف مصر وبقايا هياكلها العظيمة تشد عليها الرحال . ويقصدها أفاضل الرجال . من أقطار أوربا وامريكا لكشف المعارف التاريخية . وزيارة المعالم المصرية . وما وجدوا بعد ما يصحح أخبار توراة من قصص موسى وهارون ويوشع

وأحوالهم فكيف من تقـدمهم من آدم وشيث ونوح وأمثالهم فتحير المعتقدون بتاريخ التوراة فى كيفية تدارك هذا الخلل الكبير . وهالهم اختلال أساس هذا التاريخ الخطير . اذ لا يعقل أن المصريين الذين رسموا على الاحجار جميع وقائعهم الكلية والجزئية . ونقشوا فى الصخور كل ماحدث فى مصر من الحوادث الملكية والدينيـة . كيف أعرضوا عن ذكر تلك الامور الهائلة الجسيمة من قيام موسى عليـه السـلام واظهاره الآيات العجيبة . وغرق فرعون وجنوده الجرارة الكثيرة . فمنهم من هو واضع كف الحيرة تحت ذقنه يفتكر بعد فى التطبيق والتلفيق . ومنهم من ينتظر مزيد الكشف والتدقيق . لعله يجد طريقاً يأول الى التصحيح والتوفيق . والله تعالى أعلم بما ينتهي اليـه أمر المكتشفين والمنتظرين . وفى ذلك كفاية للمتبصرين .

المسألة الثانية

سأل حفظه الله عن بيان معنى مناظرة الملائكة مع الله تبارك وتعالى فى استخلاف آدم

الجواب

اعلم أيها الفاضل النبيه أيدكم الله تعالى وايانا بروح منه . ووهبنا جميعاً رحمة من لدنه . ان هذه المسألة لها ارتباط كلي بمسألة معرفة الارواح المجردة . والنفوس الفلكية . وفهم معنى تجردها الذاتي عن المواد واحتياجها الفعلي اليها . وليعلم أولا أن الفلاسفة والمحققين من أهل العلم عرّفوا الروح ووصفوها بحدود وتعريفات شتى أحسنها وأتقنها وأبينها للمراد (أنها جوهر مجرد مفارق عن المادة ذاتا لا فعلا) وهذا الحد كما هو غير خاف عن البصير مع أنه حد سلبي . وتعريف بالنفي . لا يبين حقيقة الذات وكنه المعرف هو تعريف جامع مانع أكثر تبيينا عن المقصود . من سائر

التعريفات والحدود . فيعرف من هـذا الحد .
أن الروح من حيث الذات مباين عن المادة
والماديات فلا توصف باوصافها من قبيل الخروج
والدخول . والتحيز والحلول . والمواجهة
والاستدبار . والتحرك والاستقرار . فلا تدرك
بالابصار . ولا بغيرها من الحواس . . ومحتاج الى
المادة فى كل الافعال . وغير مفارق عنها فى جميع
الاحوال . اذ لا يتصور التعطيل . فلا يمكن أن
يصدر منها فعل الا بها . ولا يعقل أن يظهر منها
أثر الا بآليتها . مثلا لا يعقل أن تصدر أفعال
الرؤية والاستماع والكتابة والتفكر منها الا بآلية
العين والاذن واليد والدماغ وهلم جرا . ولا فرق
فى هذه الاوصاف بين الارواح القدسية الفلكية .
والناطقة البشرية . والحساسة الحيوانية . والسافلة
الشيطانية . فان هـذه كلها اعتبارات واطلاقات
بحسب الآثار والاوصاف والملكات لا بحسب

التجرد الذاتى . والاحتياج الفعلي . والى هـذه
النكتة التي غفل عنها الاكثرون . وضل وتاه في
فلواتها الاولون والآخرون . أشير فى الآية
الكريمة (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً
وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ) فان التائهين في مفاوز
الاوهام . والغافلين عن حقائق ما وعد به المليك
العلام . لما رأوا فى الكتب السماوية . وخصوصاً
الانجيل المقدس أن السيد الرسول . اوالرب
المزمع للنزول . يأتي وبين يديه قبيل من
الملائكة المقربين . وينزل ومعه جنود من الملأ
العالين . وينصر بلفيف من المسوّمين والمردفين .
فلما ظهر الرسول المكرم . صلى الله عليه وآله
وسلم . رأوه رجلا بسيطاً يأكل الطعام . ويمشى
فى الاسواق . ويجالس الأعراب . ويجلس على
التراب . فلا ملائكة تطير حول رأسه . ولا
جنوداً من الارواح المزعومة الموهومة تمشي من

قدامه وخلفه . انتقدوا على الرسول بعدم تحقق النزول بفقدان شرط غير معقول . فنادوا وأسهبوا . وصخبوا وأطنبوا . (وَقَالُوا ما لِهَذَا الرَّسُولِ يأْكُلُ الطَّعامَ وَيَمْشِى فى الاسْوَقِ لَوْلاَ أُنْزِلَ اليْه ملكٌ فَيكُونَ معَهُ نَذِيراً) فأنزلت الآية المذكورة سابقاً تبكيتاً وافحاماً لهم . ودحضاً لحججهم . ودفعاً لاوهامهم . مشعرة بان الروح لا تتجلى الا فى الصورة البشرية . والملك لا ينزل الا بالهيئة الجامعة الانسانية . وبعبارة أوضح . الجوهر المجرد لا يعقل أن يؤثر الا بآلية الابدان . فالملك اذا نزل ليس الا الانسان . وما أدراك ماالانسان . الطلسم الاعظم . والجوهر الاكرم . والهيئة المخصوصة بالسلطة العالية على جميع العالم . الحقيقة الكاملة الفاضلة . والآية الاولية النازلة . والذات القابلة لجميع الهيآت العالية والسافلة . فالانسان هو المقصود من أمثال هذه الاسماء

والصفات . والباقى أوهام وأحلام . وتصورات
وخيالات . نعم كثيراً ما حاول بعض الفلاسفة
أن يثبتوا عقولا مجردة على الاطلاق . مباينة عن
المواد . من حيث الذات والفعل . الا أنه كبى فى
اثباتها جواد براهينهم . ونبت سيوف تحقيقاتهم
ونكست أعلام أدلتهم . فقالوا وأطالوا وأكثروا
وأطنبوا وما أتوا بشىء . كيف لا وهى بقية من
أوهام الوثنيين . وأحلام اليونانيين . حينما كانت
أستار الشبهات مسدولة على الحقائق فى جميع
الجهات . وظلمات الليل الاليل محيطة بجميع أقطار
الارضين والسموات . ومن خاصية الليل أن
لا يرى فيه الا أصحاب القلوب الراقدة الغريقة فى
المنام . وأرباب الادمغة المغمورة باضغاث
الاحلام . ولقد أوجز وأبلغ العلامة المحقق نصير
الدين الطوسى قدس الله روحه فى كتاب التجريد
حيث أبان عن ضعف أدلتهم ووهن براهينهم

فقال (وأما العقل فلا دليـل على امتناعه وأدلة
وجوده مدخولة) ولكنى أقول وان كانت أدلة
وجود العقول عنـد العلامة الطوسى مدخولة
ولكن أدلة امكان وجود مجرد ذاتا وفعلا عن
المواد أيضاً عندالبالغين غير معقولة فلنترك الخوض
فى غمرات ظلمات الافكار والاوهام • ولنرجع الى
بيان ما كنا فى سدد حله فى هذاالمقام • وقد علم
أولوا النهى أن الله تبارك وتعالى خلق فى العالم
بحكمته البالغة• وقدرته المحيطة• قوتين متضادتين•
وروحين متباينين • الاولى الروح القدسى فاعل
الخير ومفيض الرحمة • وملهم السداد والحكمة •
وعبر عنـه الانبياء بجبرائيل وروح القدس وروح
الامين• والفلاسفة بالروح العلوى أوالعقل الكلي
والصادر الاول والنفس الفلكية وأمثالها• والثانية
الروح الشرّير فاعل الشر ومثير النقمة • وملهم
الزلة والضلالة • وعبر عنه الانبياء بشيطان وابليس

وفى الانجيل المقـدس بالوحش الهائل والتنين
الكبير والفلاسفة بالروح السفلى والنفس المطلق
فاذا ثبت أن ارتباط الارواح بالاجسام انما هو
عبارة عن التعلق والاحاطة لا السريان والحلول
أو التحيز والدخول . ثبت أن مرايا تجلي الروح
القدسى هي قلوب الانبياء والمرسلين . وأفئدة
مظاهر أمر الله رب العالمين . فابدانهم الشريفة
هي أعراش استواء الله . وهيا كل عبادة الله .
ومصابيح ظهور نور الله . ومظاهر جميع أسمائه
وصفاته . ومدارك فيوضاته وآياته . كما أن قلوب
الاشرار أعراش الارواح السافلة . والنفوس
الخبيثة . ومرايا انطباع الاوهام والافكار المضلة
الخسيسة . فابدانهم مطايا الضلالة ومظاهر الفتنة
والتفرقة وألسنتهم تراجمة ابليس فهم حقيقة
الشيطان وأعداء الرحمن . الا أن جند الشيطان هم
الخاسرون وان جنـد الله هم الغالبون . فاذا علم

ذلك كله يعلم بالضرورة معنى الملائكة والشياطين .
ويعلم معنى المناظرة الحاصلة بين الرب والملأ
العالين . ويعلم أيضاً أن كل ماورد فى القرآن الكريم
فى هذا المعنى انما هو عبارة عما حدث ويحدث
أوان ظهور مظاهر امر الله وتجدد العالم بظهورهم
ورجوع الحقائق الاولية بطلوعهم . وتحقق الخلق
والبعث والحشر والنشر بكلمتهم فان هنالك تتبين
الملك من الشيطان . ويفترق جنود الشرك عن
جنود الايمان . ويمتاز الخبيث من الطيب .
والردى من الجيد . ويعلم الغث من السمين .
والسجين من العليين . ومن المعلوم المحقق عند
أرباب القلوب الصافية والبصائر المنورة . أنه
ما وقع اختلاف بين الملأ الاعلى الا بعد ما أراد
الله أن ينشئ فى الارض خلافة ويعهد بولاية
وينص باستخلاف الفرع المنشعب من الاصل
القديم . ويأمر بالسجود لدى وجهه الكريم .

ولما كان الرجع مثل الجعل والعود شبه البدء أخبر الله تعالى بتجدد هـذه المناظرة ۰ وتحتم وقوع المخاصمة ۰ حيث قال جل ذكره وجلت عظمتـه (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ) فصرح الله تعالى بافصح قول وأبلغ بيان فى كتابه الكريم أن الخصومة لامحالة واقعة بين الملأ الاعلى والمناظرة متوقعة فى الجنة العيا ليمتاز أصحاب اليمين من أصحاب الشمال ۰ ويتميز أهل الهدى من أرباب الضلال ۰ ويعرف الملاك من الشيطان ۰ ويفرّق بين عبدة الطاغوت وعباد الرحمن ۰ ولكنه تعالى أمر نبيه عليه السلام أن يكتم شرح هذه المخاصمة والمناظرة ويتنصل الى العباد عن تفصيلها ۰ ويتركها تحت الاجمال فى سنبلها ۰ فاذا أجمل الله الـكلام رفقاً بالخلق بسبب ضعفهم ۰ فلا بد أن يعذرنا حضرة السائل الفاضل اذا نحن اختصرنا الكلام

وتركناه بعد التحقيق المفيد تحت شيء من الايهام

المسألة الثالثة

سأل حفظه الله أن الصلاة والزكوة والصوم والحج هل لها فوائد وتأثيرات حقيقية أو هى ألعاب وحشية وعوائد غير مفيدة ملية .

الجواب

اعلم أيها الفاضل المجيد . أيدك الله وايانا بالبصيرة الكاشفة والرأى السديد . أن أمثال هذه المسائل منوطة بالاعتقاد بان لنا الهاً حقاً حكيماً محيطاً قاهراً فوق العباد باعث الرسل ومرسل الانبياء لتشريع الشرائع وايجاد الاديان فلا يعقل أن يعتنق انسان ديناً من الاديان الا بعد الاذعان بهذه الحقيقة ولا يتصور أن يتحمل عاقل مصاعب الرقبة ومتاعب العبودية الاَّ بعد الاعتراف بهذه الدقيقة . ونحن معاشر الامة البهائية نعتقد أن الاديان باجمعها شرعت باذن الله وانتشرت بقدرته

وعلت بكلمته وغلبت على العالم بارادته ومشيئته .
ثم اعلم أيها الفاضل أن الاديان كما أنها منوطة
بالاعتراف بوجود الله تبارك اسمه وعلت كلمته
كذلك هي منوطة بالاذعان بخلود الارواح وبقائها
بعد الانقطاع عن الابدان . فلولا الاذعان بهذه
الحقيقة لما اعتنق انسان ديناً ولا اتبع عاقل شريعة .
فاذ اعلم أن الارواح باقية خالدة والعوالم أبدية غير
بائدة وأن الابدان كما بيناه سابقاً مستلزمة للارواح
والقوى لا تظهر منها أفعال الا بآلية الاشباح
فهي مظهرة للافعال الصادرة منها . وملائمة للملكات
الراسخة فيها . فلا يشك عاقل أن الديانة مطلقاً
لا تتم الا بان تكون مبنية على قسمين مفروزين
من الحدود . ومؤسسة على ركنين وثيقين من
الاحكام .

{ القسم الاول } ما يرتبط بظواهر العالم
وتأليف الامم من قبيل وجوب العدل والاحسان

وحفظ حقوق الناس وآداب المعاملات وكيفية المعاشرات وسياسة الرعيه وترقية الامة وغيرها مما تحفظ به الهيأة الجامعة البشرية . وتؤسس عليه دعائم الحضارة والمدنية .

{ والقسم الثانى } مايرجع الى ترقي النفوس وتنقية القلوب وتهذيب الاخلاق وتكميل العقول لما يرجى من بقائها فى العوالم الآتية . والنشأة الثانية . من قبيل الصوم والصلاة والاذكار والتسبيحات وغيرها من أصناف العبادات . ومن المعلوم ان الحدود والاحكام منها ماشرعت لخاصيتها الروحانية . وفائدتها الاخروية . وحدها كالصلوات والتسبيحات . فانها لا رابطة بينها وبين الفوائد المدنية . وحفظ الهيأة الجامعة البشرية . الا ببعض ملاحظات طفيفة بعيدة . ومنها ماشرعت لظواهر الملك وليس لها رابطة بالارواح كغالب أحكام المعاملات والسياسات . ومنها ماشرعت

لما فيها من الفائدتين المذكورتين . ولها آثار باهرة فى كلتا الرتبتين كالعدل والاحسان والحج والزكاة والصدق والامانة والعفة والطهارة وغيرها من أصناف المعروف والاجتناب عن الموبقات كالقتل والزنا والكذب والخيانة والظلم والغيبة والافتراء وغيرها من أنواع المنكر . فهذه كلها لها تأثيرات ظاهرة فيما يترقى به الانسان . وتتهذب به الاخلاق وتحفظ به الهيأة الجامعة وتصان به حقوق الامة . فاذا علم ان الفاعل والمؤثر هو الروح وليس للبدن الاحكم الآلية يعلم بالضرورة مقدار تأثر نفس الارواح من صدور هذه الافعال والتخلق بالاخلاق الفاضلة أو الرذيلة . فان الخلق ليس الا الوصف الراسخ فى الفاعل بتكرر الفعل حتى يصير ملكة . وبالملكات يحشر الانسان وبها تعرف مقادير الربح والخسران . فلنتكلم في فوائد الاحكام الاربعة التى سأل عنها حضرة

السائل الفاضل هداه الله تعالى الى جناب اسمه القيوم . وسقاه من الرحيق المختوم

(أما الصلوة) فهى معراج المؤمن وقرة عين الموقن ومقام المناجاة مع الله . ومعهد القيام بين يدى الله والانابة اليه . والتضرع لديه . والاعتراف بربوبيته . والاقرار بوحدانيته . والخضوع لدى ارادته . والامتثال لمشيئته . مما يؤثر فى روح الفؤاد ويلين القلب ويبعده عن الظلمة والقسوة . فينتبه الى فضائل العبودية . ويدرك معنى المقت والشرور الناتجة عن المعصية . واذا أدرك الانسان آثار الاشياء ببصيرة نيرة وعرف تأثير الافعال بيقين مبين وعلم ورأى فوق هذا وذلك ان له إلهاً قادراً قاهراً محيطاً مقتدراً يجازى العبد بكل صغيرة وكبيرة . ويأخذه بكل خطيئة وجريرة . فلا بد له بالضرورة ان يجتنب عن المعاصي ويتجنب المخازى عن رهبة

حقيقية وخوف مكين وهذا سر قوله تعالى (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) وقوله (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) . واعمر الحق لو لم يكن للصلوات وغيرها من العبادات الا أنها تورث اليقين وتفيد القطع والاطمئنان فيما هو راجع الى الدين لكفاه فضلا اذ لا حيوة الا بالدين ولا دين الا باليقين فافهم سر قوله تعالى (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) وسبب حصول اليقين من العبادة هو ان اليقين ليس إلا كمال ادراك الروح والروح قوة مدركة تحيط بحقائق الاشياء أو تنطبع عليها صورها وهى تتقوى وتصفى وتزيد قوة وصفاء بالعبادة . والعبادة اذا كان المشتغل بها ملتفتاً الى المعانى المقصودة من الفاظها وأركانها ومدركاً لذة الاشتغال بها تمنع عن المعاصى والموبقات التى بها يقسو القلب . وتزيد كدورة الروح . فاذا زادت قوة الروح وجلاؤها

وصفائها تزيد فيها قوة ادراك الحقائق أو انطباع
صورها فيها. فالروح القوى المصفى يدرك حقائق
الاشياء كما هى عليه بالاحاطة . والروح المكدّر
يدرك صور الاشياء بالشواهد والادلة . ولذا
اختصت علوم الانبياء بالمشاهدة . واختصت
معارف العلماء بالقياسات والادلة . ولا يعرف
مقدار هذا الفرق المبين . الا البالغون بمقام اليقين
وأما غيرهم ممن لم يبلغوا بعد بهذا المقام فيمكنهم ان
يعرفوا هذا الفرق من آثار علم الطرفين من أصحاب
الانبياء والطبقة الاولى من أهل الايمان . والفلاسفة
والعلماء من أصحاب الدليل والبرهان . فانهم يجدون
بين آثار الطرفين فرقاً واضحاً وبوناً شاسعاً كما سنوضحه
ان شاء الله . وليس هذا الا من مآثر اليقين . وفيها
كفاية للمتبصرين . ولا عبرة لما تقوله الشيع
الطبيعية من المادية والدروينية ان هذه الآثار هي
انفعالات وهمية وتأثرات خيالية لا حقيقة لها بل

رسخت فى أذهان أهلها بطول الممارسة . وكثرة
المزاولة . لان ارتقاء الانسان فى مراتب الايمان
الى درجة يبذل روحه لصون دينه تدل دلالة
واضحة على صحة ايمانه وحقية يقينه . وتتحقق
وتتجلى هذه القوة الفائقة . والسمة المدهشة فى
العقائد الاجتهادية الكسبية لا العقائد الوراثية
التقليدية ويظهر الفرق بينهما بنماء الاولى ونفوذها
كالبذر الطيب فى الارض الصالحة . وحبوط
الثانية وسقوطها كالبذر الفاسد فى الارض الخبيثة
. ومن المعلوم أن الشك واليقين والظن والقطع
وأمثالها من الامور القلبية الاعتقادية . ليست
من الامور المدركة بالحواس الظاهرة . حتى
يستدل عليها بالادلة الهندسية . والقياسات
الفلسفية بل تدل عليها الافعال وتشهد لها القلوب .
وهذا سر الآية الكريمة الفرقانية حيث قال جل
ذكره مخاطباً لليهود) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ

زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فان اليهود كانوا يعتقدون أنهم الشعب المقدس والذرية الصالحه . والاسرة الطيبة الطاهرة . وأولياء الله من دون الناس . فافحمهم الله تعالى بهذا البرهان وأخرجهم من أهل الايقان . وبين سمة أولياء الله . وأبان عن موقف أحباء الله . ومن الثابت المقرر عند أولى البصائر أنه اذا ثارت عواصف الافتتان . واشتدت أعاصير الامتحان وهجم الوحش الكاسر على المؤمن الخاسر . وتدجج له بمرهف مخالبه وأنيابه . وكشر الموت الزوأم عن نواجذه وأسنانه حينئذ يتميز الشاك من الموقن . والمجتهد عن المقلد . والثابت من الزائل . والحق من الباطل . ولقد شاهدنا ورأينا فى زماننا هذا كثيراً من النفوس الزكية وأصحاب القلوب الثابتة النقية . حين اشتداد هذه العواصف . وهيجان هذه القواصف

بذلوا بغاية السرور مهجهم في سبيل الله وأهدروا في نهاية الاطمئنان دماءهم في محبة الله فاستهانوا بالحيوة . واستقبلوا الموت بغاية النشاط . وسرعوا الى مشهد الفداء . وسارعوا الى معهد الفناء . متهللي الوجوه . مستبشري القلوب . حتى حيّر العالمين اصطبارهم . وأدهش الناظرين سكونهم وقرارهم . وما بدّلوا دينهم . وما كتموا ايمانهم ولعمر الحق هذه هي الشهادة الفعلية التي تشهد على صحة دينهم . وحقيقة يقينهم

وادلّ من ذلك على علو مقام يقينهم . وسمو مكانة دينهم . هو قدرتهم على تقليب قلوب العباد وتمكنهم . من تحويل عقائدهم الفاسدة الى العقائد الصحيحة . وتبديل خلائقهم القبيحة الوحشية . بالاخلاق الحسنة المرضية . فان الله تعالى وزع بهم من الاخلاق والعوائد والعقائد القبيحة الخبيثة الراسخة في الملل القديمة مالم يزعه الفلاسفة بقوة

أفكارهم وسعة معارفهم . لان الله تعالى وهب لاوليائه قدرة على انفاذ كلمته ونشر دينه وأثبات أمره واظهار براهينه من غير ان يستمدوا من القوى الملكية البشرية . أو يرتكنوا الى عماد سوى القدرة الالهية . من قبيل العلوم والمعارف الاكتسابية . أو المال والثروة الدنيوية . أو العزة والسلطة الملكية أو التعاون والعصبية القومية فرفعوا سماء دينه بهذه القدرة الباهرة . وما شيدوها على عماد من تلك الاعمدة المذكورة الظاهرة . وهذه حقيقة تميز أهل الجهل عن أهل الايمان . ويمتاز بها أهل الشك عن أصحاب الايقان

ومن يتدبر فى حالات الطبقة الاولى من المؤمنين من اصحاب الانبياء والمرسلين كأصحاب سيدنا عيسى وأصحاب سيدنا الرسول عليهما السلام يمكنه ان يدرك بعض آثار هذه القوة القوية .

ويفهم معنى القدرة الباهرة الالهية . فان تلامذة
سيدنا عيسى عليه السلام نشروا دين الله وبدّلوا
العقائد السخيفة الراسخة فى الامم وأزالوا العوائد
الوحشية المتمكنة فى أهل العالم من غير أن يوزّعوا
بين الناس كتباً مطبوعة . أو يبهروا أنظارهم بآلات
بديعة مصنوعة . أو يفتحوا المدارس العلمية . أو
يستمدوا من القوى العسكرية . أو يساعدهم
هزيم رعود المدافع . أو يعززهم صليل السيوف
القواطع . مما يرتكن عليه المعاصرون . وينتصر
به الحاضرون . بل نشروا دين الله بايمانهم .
وأزالوا الكفر بقوة ايقانهم . ونصروا أمر الله
بدمائهم . وأعلوا كلمته ببذل أرواحهم . ولكن
أحبار اليهود وعلماء المجوس وفلاسفة يونان وحكماء
الروم ما كانوا متمكنين أن يزيلوا واحدة من تلك
العقائد والعوائد السخيفة التى تضحك منها اليوم
ذريتهم وأولادهم . وتهزؤا بها أعقابهم واحفادهم

وكذلك أصحاب الرسول عليه السلام أزالوا ظلمة الكفر عن العالم بأنوار هذه القوة السماوية وقطعوا دابر الشرك بهذه القدرة الالهية . ويكفى لادراك بعض آثار هذه المنحة الكبرى والموهبة العظمى . ماورد فى السير الشريفة . والاخبار الصحيحة . ان كبار الانصار لما آمنوا وقابلوا النبي عليه السلام فى السنة الاخيرة قبل الهجرة طلبوا منه أن يرسل معهم أحداً من الصحابة ليعلمهم الصلاة والاحكام ويدعو أهل المدينة الى الاسلام فأرسل معهم مصعب بن عمير وكان مُصعب شاباً أمياً لا يعرف القراءة والكتابة . ولا كان معروفا بالفصاحة والخطابة . ولا كان يحفظ الا الصلاة المكتوبة وبعض آيات القرآن فدعا أهل المدينة الى الايمان . فآمن بيده اكثر أهل يثرب قبل أن يهاجر النبي عليه السلام اليها ويشهر السيف كما يدّعى المكابرون عليها

وكذلك رأينا وشاهدنا في زماننا هذا بعض الاميين ممن وهبهم الله هذه القدرة الباهرة انهم غلبوا بقوة يقينهم وصدق ايمانهم على قلوب الملل العتيقة التائهة فى ظلمات الاوهام ومفاوز التقليد وبدلوا عقائدهم الباطلة الوراثية . بالاعتقادات الصحيحة البرهانية . وازالوا أوهامهم . وا كملوا ايمانهم . فتجددت أخلاقهم . وطابت أذواقهم وأنارت بصائرهم . واطمئنت ضمائرهم فتبدلت بنور الايمان جهلهم بالعلم . وضعفهم بالقوة . وخيانتهم بالامانة . وشرههم بالعفة . وجفاؤهم بالالفة . وجبنهم بالشجاعة . وخشونتهم بالوداعة . وبالاجمال تبدلت جميع أخلاقهم العتيقة الباطلة بالاخلاق الجديدة الفاضلة وعقائدهم الوراثية الوهمية . بالاعتقادات الصحيحة البرهانية حيث يمكن للعاقل أن يحكم بتبديل خلقتهم . وتجديد ولادتهم . وانهم صاروا أحياء بعد ما كانوا أمواتاً ونبتوا نباتاً

بعد ما كانوا رفاتا . وهذه كلها مما تلوناها عليك انما هو من آثار اليقين . واليقين هو أثر العبادة كما نزل على الرسول الامين (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) . وفيها كفاية للمستبصرين)

﴿ وأما الزكوة ﴾ فهى من الامور الظاهرة فوائدها الباهرة آثارها فان أداء الزكاة يؤثر فى النفس بما يوجد فيها من فضيلة السخاء ويزيل حزازة الشحّ والبخل وفيها سر الكرامة والغبطة الموصلة الى السيادة والزعامة ولا يمكن حفظ الهيأة الجامعة البشرية الا بان تؤدى الرعية ضريبة معلومة لسلطانهم . ليصرفها فى وسائل حفظ حقوقهم وتدبير أمورهم . واصلاح شؤونهم وسياسة جمهورهم . ولهذه الفوائد جعلها الله تعالى من أصول أحكام الديانة الاسلامية . وبين مصارفها فى الآيات القرآنية . ولكن القوم حرفوا كلمة الله . وبدّلوا حدود الله . وصرفوها

فى غير ما أمر به الله [١] . فتبدلت قوتهم بالضعف وحياتهم بالموت . واستقلالهم بالاستعباد . وما ربك بظلام للعباد

{ وأما الصوم } فأثره أظهر وأجلى . وأتم وأعلى . لان فيه فوائد الصلاة مما ذكرناها وبيناها اضافة عما فيه من ترويض النفس الحيوانية وكبح جماح القوى الشهوانية وهذه المسألة واضحة بالعيان . لا تحتاج الى تطويل الكلام ومزيد البيان اذ من المعلوم ان الانسان نوع من أنواع الحيوان والقوى الحيوانية بحكم الذات منجذبة الى الطبائع المطبوعة بها . ميالة الى الملاذ المستلذة منها . وقد بينا فى سائر مصنفاتنا ان القوى التشريعية سواء كانت الهية أو بشرية . تابعة للقوى الطبيعية معدلة للافعال النفسانية . اذ لا يمكن كبح جماح النفوس

---

(١) فان أكثرهم لا يؤدون الزكاة وقليل ممن يؤدونها لكن لغير أهلها

وصرف ميلها عن اللذائذ الدنية . والشهوات المهلكة الحيوانية . الا بترويضها بالرياضات الشرعية المأثورة . وكفها عن انهما كها فى الموبقات بالسنن المسنونة . لا بالرياضات الشاقة المبتدعة . كما تعتقده الفرق الصوفية ولا بصرف التهذيب والتعلم فى المدارس كما تزعمه الفلاسفة الطبيعية

{ وأما الحج } فانه أتقن حكم جامع للفوائد الروحانية والمدنية . شامل للسياسات الدينية والملكية . اذ شرع الله تعالى فيه مناسك واعمالا من الصلوات والاذكار والتسبيحات مما بينا فوائدها فى الترقيات الروحانية وقواعد وافعالا من التعارف والتعاون والاختلاط والارتباط بين الامم المختلفة جنساً مما يرجع الى الفوائد المدنية ولو لم يكن لهذا العمل المبرور والعبادة المحمودة مايعرف العاقل الفطن من دقائق الآثار وعظائم

الاعمال الا ماذكرناه من تسهيل وسائط
التآلف والتوافق بين الامم الكبيرة . وامكان
ايجاد الاتحاد والأئتلاف بين الاقوام العظيمة .
لكان كافياً لوجوب اعتباره . ووافيا للاعتراف
بعظيم آثاره . فانه ليس من الامر السهل الهين
ان يجتمع من تخوم الصين شرقاً الى أقاصي افريقيا
غرباً ومن أقصى ممالك الهند جنوبا الى أواخر
سيبريا شمالا كل متمكن من أشراف القبائل
وزعماء الامم فى كل سنة فى هذا المجمع الرهيب
الكبير لاداء هذا المنسك العظيم العسير ويرون
ذلك فرضاً دينياً عليهم وأمراً الهياً لديهم ولعمر
الحق لو علم امراء الاسلام والخلفاء والملوك الذين
استولوا على هذه البقعة المقدسة والارض المكرمة
وعرفو كيف يستعملون هذه الحكمة العالية .
والسياسة السامية . وعاملوا زوار هذا البيت
الكريم أحسن معاملة . وجاملوهم اليق مجاملة .

وسهلوا وسائط مسافرتهم ومهدوا وسائل راحتهم وقاموا لدعوتهم الى الاتفاق • وحذروهم عن عواقب الشقاق • ونبهوهم الى فوائد الوفاق • لتمكنوا من جمع كلمة المسلمين • وايقافهم فى ظل راية واحدة ولحصلت لهم قوة غالبة • وكلمة عالية • مما لا يعتبره الا كل عاقل زكى • ولا يستهين به الا كل خامل غبي • ولكن • (ويا للاسف) ما عرفوا قدر هذه الحكمة المجيدة • ولا أدركوا غاية هذه السياسة السديدة • وأساؤا المعاملة مع زوار هذا البيت العتيق • وسلبوا ونهبوا حجاج هذا المكان السحيق • حتى قضى أجل الكتاب • وطفلت شموس العزة والنعم الممنوحة للاغتراب • وفى ذلك آيات لأولى الالباب

المسأله الرابعة

سأل حفظه الله تعالى عن المعانى المقصودة من عصى موسى عليه السلام وانفلاق البحر بها

وانفجار العيون من الحجر بسببها وعن معانى معجزات عيسى عليه السلام وعن معنى جريان الماء عن أصابع سيدنا الرسول عليه السلام كما ورد فى الاحادث

الجواب

اعلم أيها الفاضل الماجد يسر الله لك الصعود الى أعلى الدرجات والوصول الى أسمى المقاصد أن الكتب السماوية . والكلمات النبوية . على سمو رفعتها . وعلو مكانتها . لاتخرج عن كونها الفاظاً وكلمات وعبارات واطلاقات تشتمل على المعانى الظاهرة الحقيقية . والاستعارات الخفية المعنوية . كما أن القلوب التى أنزلت عليها هذه الكلمات . والالسن التى نطقت بهذه العبارات . مع انها اعراش الهية . وتراجمة سماوية . لاتخرج عن كونها قلوباً بشرية . والسنة انسانية . وبعبارة أوضح . ان الانبياء عليهم السلام الذين أنزل عليهم

الـكتب . لاشك انهم بشر مثل سائر افراد البشر وكانوا يتكلمون كما يتكلم سائر المتكلمين . ويعبرون عما أوحى اليهم كما يعبر عن ضمائرهم سائر المعبرين . فلا يمتنع عقـلا أن تكون فى عباراتهم مجازات واسـتعارات . وكنايات وتشبيهات . كما يجوز أن تكون فيها تصريحات بلا تلويح وحقائق بلا تأويل فلذلك ترى كثـيراً من أهل العلم حملوا العبارات الواردة فى الاخبار عن المعجزات على ظواهرها فاعتقدوا بأن العصا تحولت فى الظاهر حقيقة بالحية والاموات بالاحياء . وجرت المياه فى الحقيقة من أصابع سيد الانبياء . الى غيرها من عجائب الامور . وخوارق المقدور . وكثيراً من أهل الفضل وفرسان مضمار العلم اعتقدوا بأن جميع ما ورد فى الـكتب والاخبار من هذا القبيل كلها استعارات عن الامور المعقولة والحقائق الممكنة مما يجوّزه العقل المستقيم . ولا يمجه الذوق

السليم . فقسروا العصا بأمر الله وحكمه فان موسى عليه السلام بهذه العصا غلب على فرعون وجنوده ومحا حبائل عتوّه وجحوده وبهذه العصا ضرب الاسباط الاثنى عشر فلانت قلوبهم القاسية . وانشرحت صدورهم الضيقة . وتنورت أفئدتهم المظلمة . فانفجرت منها عيون العلم والحكمة . وانبجست منها ينابيع الفضل والرحمة . فصاروا ملوكا حكاماً وأئمة أعلاما بعد ما كانوا رعاة جهلة وعبيدا رزلة يسومهم الفراعنة سوء العذاب ويذيقونهم مرّ الشراب يستخدمون بناتهم ويقتلون أولادهم ويستعبدون رجالهم فكان بنو اسرائيل فى طى هذه البأساء وتحمل هذه الضراء كالاحجار التى لاحراك لها والاموات التى لاحياة لها لايجدون محيصاً من بلائهم ولا شافياً من أدوائهم فلما ظهر موسى عليه السلام وأعطاه الله الحكم والنبوّة وأمره بتخليص بنى اسرائيل

من ذل الاسر والعبودية فظهر من هذا الامر
المعبر عنه بالعصا وعن الرسالة المعبرة عنها باليد البيضاء
أثران باهران لاينكرهما خبير ولا يجهلهما بصير
فانه محى أولاً كيد فرعون ومكره وجبر ثانياً
حال الشعب وكسره وخلص القوم من ذل الاسر
وأجلسهم على منصة الملك فجرى من تلك القلوب
القاسية كالاحجار الصلدة عيون المعارف والعلم
والحكمة فعلم كل أناس مشربهم وعرف كل سبط
من الاسباط فى مدة الف وخمسمائة عام مسلكهم
ومذهبهم • حتى انتهت دورتهم وانقضت مدتهم
وتفرقت كلمتهم وانفصمت عروتهم فقست وماتت
قلوبهم وبرصت بالذل جباههم وجنوبهم فرجعوا
من اسر الفراعنة الى اسر القياصرة وعن عبادة
المصريين الى عبودية الرومانيين حينئذ طلعت
شمس الحقيقة عن أفق بلاد الجليل وارتفعت
نغمات الانجيل فأحيي الله تعالى بأنفاس عيسى عليه

السلام بعضا من تلك النفوس الميتة وبرّأ بيده المباركة جملة من الجباه المبروصة وأنشأ الديانة النصرانية . وغسل بها الاقطار الاروبية عن ادران الوثنية . وتتابعت القرون ومضت الاعوام والسنون الى أن بزغت شمس الهداية عن الاقطار العربية وقام الرسول الكريم على انشاء الديانة الاسلامية فاجرى الله تعالى من أصابعه المباركة ينابيع العلم والحكمة الالهية . وأورقت وأزهرت وأثمرت أغصان الهداية فى الممالك الشرقية . واستعدت مشارق الارض ومغاربها للوصول الى نقطة الاعتدال والبلوغ الى حد الكمال ونزول الرب الموعود فى غمام الجلال فتتابعت الأدوار وانقضت الاعصار . حتى طلع النهار وأشرق نور الانوار . وزالت ظلمة الليل الاليل من جميع الاقطار والامر لله الواحد القهار

(هذا) ونحن معشر الامة البهائية نعتقد بأن مظاهر

أمر الله ومهابط وحيه . هم بالحقيقة مظاهر جميع
اسمائه وصفاته . ومطالع شموس آياته وبيناته . لا
تظهر صفة من صفات الله تعالى فى الرتبة الاولية
الاّ منهم . ولا يمكن اثبات نعت من النعوت العالية
الجلالية والجمالية الا بهم . ولا يعقل ارجاع الضمائر
والاشارات فى نسبة الافعال الى الذات الا اليهم .
لان الذات الالهية والحقيقة الربانية غيب فى ذاتها .
متعال عن الاوصاف بحقيقتها . منزه عن النعوت
بكينونتها . لا تدركها العقول ولا تبلغ اليها الافهام
ولا تحويها الضمائر ولا تحيط بها المدارك فلا
توصف بوصف ولا تسمى باسم ولا تشار باشارة
ولا تتعين بارجاع ضمير لان منزع كل هذه هو
المدارك الحسية وهي فوق الادراك لان كل
مدرك محاط وكل محاط محدود وكل محدود ذو
وضع وهذا من صفات الجسم والجسمانيات . تعالت
عنه المجردات . فكيف الذات الالهية . والحقيقة

النورانية. فكل ما توصف به ذات الله ويضاف
ويستند الى الله من العزة والعظمة والقدرة والقوة
والعلم والحكمة والارادة والمشيئة وغيرها من
الاوصاف والنعوت يرجع بالحقيقة الى مظاهر
أمره. ومطالع نوره ومهابط وحيه ومواقع ظهوره
وقد رقمت هذه المسألة من القلم الاعلى مبينة
مفصلة فى الواح ربنا الابهى . وأظهر الله تعالى
جواهر أسرارها فى الصحف المطهرة ببيانه
الأحلى

فاذا تقرر ان مظاهر أمر الله تعالى هم مظاهر
قدرته وقوته وارادته ومشيئته فلا يمتنع اذاً صدور
المعجزات منهم. وظهور ما يعجز عن مثله غيرهم .
بسبب كلية هذه النفس المقدسة المتجلية فيهم .
كيف لا وهى شديد القوى . وروح الله النازل
من السماء . والحقيقة المتعالية على الاشياء. القاهرة
فوق كل موجود. الغالبة على ما فى الغيب والشهود.

فكما انه لا يتأتى من سائر انواع الحيوان ما يتأتى من الانسان بسبب كلية روح هذا بالنسبة لجزئية روح ذلك كذلك يتأتى من الانبياء مالا يتأتى من غيرهم بسبب ما أسلفنا من كلية روحهم واحاطة قدرتهم . وشدة قوتهم . وكما ان مايظهر من الانسان من عظائم الآثار وجلائل الاعمال . معجز لسائر أنواع الحيوان . بل تحسبه الحيوانات بالنسبة لقواها خارجاً عن الامكان . كذلك ما يظهر من الانبياء معجز لسائر أفراد البشر وخارق لعادات الخلق

ولعمر الحق لو يتدبر أولوا البصائر الكاشفة فيما ورد عن الانبياء والمرسلين من البشارات والانذارات فى الادوار التى تدور على أمتهم من التقدم والوقوف والانحطاط وبيان مدة بقائهم وتعيين آجالهم . وما يطرأ عليهم من حسن أعمالهم أو سوء فعالهم . ليدركوا معنى كلية هذا الروح واحاطة هذه القوة . فان الكتب الالهية هى حقيقة

الملأذة السماوية فيها ماتشتهيه الانفس . وتنشرح منه الصدور وتستلذ الاعين وتتنور منه القلوب فانظروا مثلا الى الرسالة الثانية لبطرس الرسول المعروف عند المسلمين بشمعون الصفاء أول من آمن بروح الله الذى نزل من السماء . وخليفته على عباده بعد صعوده الى الملإ الاعلى . فان هذا الرسول المجتبي . والامام المرتضى . أخبر فيها عن حالات الامة النصرانية . وما يؤل اليه أمر الامم المسيحية . بما لا يمكن ان تدركه العقول البشرية بالمدارك العالية العلمية . أو بالانظار الدقيقة السياسية او بالنباهة والفراسة السامية الانسانية . بل هو الوحى السماوى . والالهام الالهي . الذى عبرنا عنه باحاطة النفس وكلية الروح القدسى . ولولا ضيق المجال وتبلبل البال . من كثرة الاشغال . ومماندة الانذال لشرحنا هذه الرسالة الكريمة للمتبصرين من الرجال . ليروا العجب العجاب . عما أودعه الله

فى الكتاب . وخصص بفهمه وادراكه أرباب الالباب . وكذلك ماورد فى القرآن المجيد من حالات الامة الاسلامية بجميع خصوصياتها وجزئياتها الى أن تنتهى بظهور الموعود . وتعيين ميعاد ظهوره ومنشأه وكيفية نشر أمره وبسط دعوته . مثلا اذا تدبروا فى هذه الآية الكريمة (فَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) ليروا ان فيها تعيين محل نزول الموعود . وتصريح بان نداء الرب تعالى ترتفع من الارض المقدسة أقرب الاراضى الى الاقطار العربية . وهى الجزء الغربى من البلاد السورية . الواقعة حول جبل القدس من أرياف البحر الابيض المتوسط بين آسيا والممالك الاروبية هذه هى الارض المقدسة البيضاء . والبقعة المنورة الفيحاء . معهد اللقاء . وقبلة الاصفياء . ومنشأ الانبياء . ومحل ارتفاع نداء الله بين

الارض والسماء

ومن المعلوم ان مملكة السورية وأرياف البحر الابيض أراض واسعة • وقطعة متسعة • وفيها بلاد شهيرة • ومدن عديدة • وقرى ومزارع كثيرة فبين النبي عليه السلام ان محل نزول الموعود هو مدينة عكاء • ومهبط هذا النور هو ذاك المرج المعروف فى تلك الارجاء • فمدح واطرأ هذه المدينة وأقطارها حتى ذكر في بياناته المباركة عيونها وآبارها وبشر ووعد بكل خير ساكنيها وزوّارها حيث قال عليه السلام (طوبى لمن رأى عكة) فاشتهر هذا الحديث الشريف حتى تمسك به اللغويون مثل صاحب الصحاح وغيره • فاستشهدوا به فى كتبهم • وصار كالامثال المرسلة فلهجت به الشعراء فى أشعارهم • ففصل النبى عليه السلام بهذا الحديث وكثير من أمثاله مما هو مدوّن فى كتب الاحاديث . مجمل الآية الكريمة المذكورة وبينها أحسن تبيين

ونص على تعيين محل الظهور أحسن تنصيص ۰ وصرح أجلى تصريح ۰ وقد أخـذه كبار الاولياء مصدراً لتفاصيل بشاراتهم ۰ وصرحوا به فى خطبهم ومقالاتهم ۰ أوفى كتبهم ومصنفاتهم ۰ كامير المؤمنين علىّ بن أبى طالب من السابقين الاولين ۰ وكالشيخ الـكبير ابن العربى والشيخ كمال الدين محمـد بن طلحة والسـيد الشعرانى وكثير من أمثالهم من المتأخرين ۰ وممـا نقله الشيخ الشعرانى فى كتابه اليواقيت والجواهر فى المبحث الخامس والستين فى هذا المعنى مستخرجاً من الاحاديث والمصادر العليا قوله (يشهد الملحمة العظمى ۰ مأدبة الله بمرج عكاء) وقوله فى وزراء المهدى ۰ { ويقتلون كلهم الا واحد منهم ينزل فى مرج عكاء فى المأدبة الالهيـة الـتى جعلها الله مائدة للسـباع والطيور والهوام } الى كثير من أمثال ذَلك مما خبأه الله تعالى فى مكنون علمه وأودعه فى بطون

آيات القرآن . وصدقه كرورالايام وتتابع الازمان وسوف يطبق ذكره الآفاق ويملأ صيته السبع الطباق . ولو أنصف المنكرون لماوراء الطبيعة . وتدبروافى هذه الامور الدقيقة . لاعترفوابان العقول البشرية لايمكنها ان تدرك هذه الامور بشخصياتها وخصوصياتها قبل وقوعها . وان تخبر الناس عنها قبل تحققها . فكيف يمكن للمنصف الخبير والحالة هذه ان ينكر من مظاهر هذه الحقيقة المقدسة ومطالع هذه القوة الكلية المحيطة . ان يظهر منهم مايحير العقول ويعجز النفوس ويدهش الالباب . ويأخذ بمجامع القلوب . فلا ينبغى لنا بسط الكلام اذا فى بيان صدور المعجزات الخاصة منهم وظهور خوارق العادات المخصوصة عنهم بل ينبغى لنا ان نتكلم فى بيان ماهية المعجزات وتقسيمها الى الآيات الاقتراحية . والآيات النازلة الكتابية وبيان مقدار دليلية كل قسم منها . بمعنى انه هل

للمقترحات دلالة على صدق الانبياء حتى تكون صفة لازمة لوجودهم . وآية لظهورهم وبرهاناً على صدق دعوتهم . ومثبتة لكلمتهم . أو ليست فيها هذه الدلالة فلا تكون صفة لازمة لهم . واجبة اظهارها عليهم . فلنتكلم فى هذه المسألة المعضلة ونتكلف تذليل صعوباتها ونخوض فى غمراتها . ونكشف عن مخبآتها . فانها لعمر الله مزلة القدم ومعركة آراء أهل العالم وبجهلها سقط كثير من الاولين . وحتم الهلاك على الغابرين

مقالة مخصوصة

فى بيان معنى المعجزات وأقسامها

(وبيان مقدار دليلة كل قسم منها)

اتفقت الامم على ان مظاهر أمر الله

والقائمين على تشريع دينه لا بدأن يكون لهم سمة مخصوصة . وعلامة معلومة . تميزهم عن دونهم . وتفرزهم عن غيرهم لتكون شاهداً لهم . ودليلا اليهم . وبرهاناً على حقيتهم . وحجة لتصديقهم . والامم الاولى الى زمان ظهور سيدنا الرسول عليه السلام كانوا يعبرون عن هذه العلامة بالآية والآية لغة هي العلامة فكانوا اذا ادعى مدع انه رسول من الله يسألونه عن آية ترشدهم الى صدق قوله وتثبت حقيّة ادعائه . كما ورد فى انجيل متى فى الاصحاح الثانى عشر أن قوماً من الكتبة والفريسيين سألوا عيسى عليه السلام ان يريهم آية فأجابهم ان الجيل الفاسق الشرير يطلب الآيات ولا يعطى آية الا آية يونس النبي . وفى الاصحاح السادس عشر منه انه جاء اليه الفريسيون والصدوقيون ليجربوه فسألوه ان يريهم آية من السماء فأجابهم قائلا اذا كان المساء قلتم صحو لان

السماء محمرة وبالغداة اليوم مطر لان السماء محمرة كالحة • أفتعلمون ان تميزوا وجه السماء وعلامات الازمنة لا تستطيعون ان تعرفوها • إن الجيل الشرير الفاسق يطلب آية ولا يعطى آية الا آية يونس النبي ثم تركهم ومضى • ومعنى الجميع ان علماء اليهود كانوا يطلبون منه على سبيل الامتحان ان يريهم معجزة فأجابهم عليه السلام بما سنوضحه فيما يأتى من الكلام. وجاء فى القرآن الشريف نقلاً عن قريش وغيرهم فليأتنا بآية كما أرسل الاولون وقوله تعالى { لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ } الى كثير من أمثالها مما يثبت ان الفاظ المعجزة أو خارق العادة أو الكرامة وأمثالها مستحدثة من مصطلحات المتأخرين • ولم يكن لها ذكر عند الاولين • وعلماء النصارى بعد انتشار ديانة سيدنا عيسى عليه السلام وثبوت كلمته بدلوا لفظ الآيات بالعجائب ولعلها مأخوذة من مصطلحات ديانة

الصابئة التي كانت ديانة أهالى أوربا وافريقياوآسيا ماعدا الهنود والصينيين قبل ظهور موسى وعيسى وسيدنا الرسول عليهم السلام . فان بعض الآثار العتيقة المصرية المحفوظة فى متحفها الشهيرة ترجمت أيام اقامتى فى مصر تدل على ان المصريين فى زمان الفراعنة كانوا يعبرون عن الامور الخارقة للعادة بالعجائب . وأما علماء الاسلام أى المتقدمين منهم لما رأوا ان الله تعالى أمر النبي عليه السلام بأن يستدل على صدق ادعائه بالقرآن الكريم وعبر عن عباراته بآيات الكتاب والقوم كانوا يطلبون منه آية غيره ورأوا أن الآيات مختلفة بحسب مفاهيمها وآثارها قسموها الى قسمين كما يظهر جلياً من التفاسير

{ القسم الاول } الآيات الكتابية

أى الوحى السماوى وهو عبارة عن الحقائق والمعانى التى نزلت بوساطة الروح الامين . على

قلوب الانبياء والمرسلين • ثم ظهرت على هيأة الكلمات من السنتهم وتجلت فى قوالب الالفاظ والعبارات من أفواههم • وتلك المعانى والالفاظ الدالة عليها حادثة عند الشيعة . فالمعانى عندهم علوم الهية لدنية غير تحصيلية . والالفاظ الدالة عليها هى الكلام الالهى ولا يعقل عندهم كلام غيره • اذ الكلام كما هو معلوم لدى أهله ليس الا عبارة عن مجموع الفاظ موضوعة حاصلة من الاصوات والاصوات كما هو مقرر عند أهل العلم والحكمة ليست الا الكيفية الحاصلة من تموج الهواء المضغوط بين قارع ومقروع وليس ثمة كلام ثانى فلا يعقل الكلام النفسانى • والمعانى قديمة عند أهل السنة والجماعة وهى عندهم من صفات الله تعالى ويعبرون عنها بالكلام القديم وعندهم حدوث الالفاظ لا ينافى قدم المعانى المعبر عنها بالكلام النفسانى كما ان تبدل الاجسام وحدوثها

لاينافى بقاء الارواح وثبوتها • اذ ليست هـذه
الالفاظ الا دوالا على الـكلمات النفسانية التى هي
فى الحقيقة عبارة عن الحقائق القديمة الثابتة لذات
الله تعالى وهذه هى الآيات الالهيـة والكلمات
السماوية كما أشير اليه فى الآيات القرآنية. ويعرف
كلام الخالق عن كلام المخلوق بعلامات وامارات
(العلامة الأولى) وهى أظهر العلامات وأعظمها
ان ينسب ويعزى الى الله تعالى كما ورد فى المصحف
المجيد (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَي)
فانه ان كان كذباً ومختلقاً يزهق من نفسه . ويبطل
بذاته . وقد وعد الله تعالى فى سابق حكمه . وقديم
أمره • باهلاك المتقوّل عليـه • وابادة مايعـزى
بغير اذنه اليه . فلا يبقى الباطل الزاهق ولا ينجح
مقصد الـكاذب المختلق . (والعلامة الثانيـة)
أن يكون قاهراً لمن يقاومه . وغالباً على من
يغالبه • ونافذاً فى اذهاق مايخالفه . (والعلامـة

الثالثة) أن يكون مؤثراً فى ايجاد الامة . وبقاء الشريعة . ونفوذ الحكم وثبوت الكلمة . وهذه العلامة لا تعقل ولا تتبين الا اذا كان الكلام مشتملا على الشريعة الحديثة . والسنن والاحكام الجديدة. والا يعزى التشريع الى الرسول السابق والتأثير والنفوذ الى الكلمة القديمة . وقد تكفلت بيان العلامتين الاخيرتين هذه الآية الكريمة النازلة فى الكتاب المبين (يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) ولكلام الله علامات أخرى من قبيل تأثيراته فى الامور الشخصية وبيان غوامض الآثار المودعة فى الصحف السابقة السماوية . ومزاياه الظاهرة اللفظية وغيرها مما يعرفه أهله . ضربنا عن ذكرها صفحاً رعاية للاختصار . لعدم الفرصة اللازمة للمسابقة فى ذلك المضمار . وفى ماقلناه كفاية لاهل الاستبصار

(والقسم الثانى) الآيات الاقتراحية .

وهى عبارة عن أمور غير ممكنة عادة تقترحها الامة أو بعض منها على مدّعى مقام النبوة أو الرسالة ويعلقون تصديقهم له على اظهارها ويجربونه باقتراحها من قبيل انطاق الاحجار . وطلب الاشجار . واجراء العيون والانهار . أو احياء الموتى وقلب العصا بالافعى . وانفلاق البحر بالعصا . وغيرها مما لا يعد ولا يحصى . ولا يشبع منه ولا يروى . ومن خصائص الآيات الاقتراحية كما يستفاد من القرآن الشريف والانجيل المقدس انها جالبة للهلاك موجبة للدمار . لا تفيد اليقين والهداية لاهل الاستبصار . ولا يطلبها ولا يقترحها الا الفسقة والاشرار كما سنوضح أسبابها لارباب النباهة والاعتبار . وفى القرون الوسطى أطلقوا لفظ المعجزة وخارق العادة على المعنى المستفاد من الآية مجازاً باعتبار انها تعجز الخلق عن الاتيان

بتاتا . وتخرق العوائد التي تعودت الامم على فعلها .
حتى صارت حقيقة ثانوية . ثم قسمها المتأخرون تقسيما
آخر فقالوا اذا صدر خارق من نفس قبل بعثها للنبوة
يسمى هذا الخارق ارهاصا . واذا ظهر بعد البعثة
مقارناً للتحدى والاحتجاج يسمى معجزة . ولا
تعزى المعجزات الا الى الانبياء . واذا صدر هذا
الخارق عن انسان بلا تحدوادعاء وتشريع واحتجاج
يسمى كرامة وهى لا تعزى الا الى اولياء . واذا صدر
الخارق من نفس خبيثة شيطانية يسمي سحراً
واستدراجاً . وهذا هو المروى عن السحرة
القدماء . ومن عرف الحقائق يمكنه أن يعرف
مقدار تفاهة هذه المصطلحات . وبعد أصحابها
عن معرفة حقائق الآيات والبينات فتم فيهم قول
الرحمن (إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ
ما أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) الا انه لا يجوز
لاهل العلم أن يضايقوا القوم فى مصطلحاتهم

ويشاحنوهم فى عباراتهم فقد قيل (لامشاحة فى المصطلحات) فلنترك القوم وآراءهم ونتكلم فى مقدار دليلية المعجزات وحجية خوارق العادات

ومن المعلوم أن الدليل والبرهان لابد أن يكون مرتبطاً مع المدلول والامر المبرهن والا لا يعد برهاناً ودليلا مهما كان مدهشاً وعجيباً . مثلا اذا ادعى أحد أنه طبيب عالم بفنون حفظ الصحة وعلاج الامراض واستدل على صحة دعواه بأنه يطير الى السماء فطار لايدل بالضرورة طيرانه الى السماء على كونه طبيباً . وان كان الطيران مدهشاً عجيباً . لانه ليس من صفات الفعل ولا رابطة بينه وبين موضوع الطب بل حفظ الصحة وابراء المرضى عن الامراض من صفات الفعل ودليل مرتبط على صحة الدعوى وصدق الادعاء.

قال الاستاذ كرنيليوس فنديك الامريكانى فى الجزء الثامن من كتاب النقش فى الحجر وهو فى

المنطق (وبما أن الانسان معرّض للخطأ فى الامور العقلية يوافقه أن يستعين بآلة قانونية تعصمه من الخطأ وترشده الى الصحيح حتى لا يحسب علة ماليس بعلة ولا نتيجة ماليس بنتيجة . ولا يبنى على أساس فاسد ولا يعد برهاناً ما ليس برهان . قال الامام الغزالى لو قال قائل أربعة أكثر من عشرة وأنا أبرهن ذلك باحالة هذه العصا حية ثم فعل وتحولت العصا حية لكنت أندهش من حيلة العامل ولكنى كنت أبقى على يقينى بأن أربعة أقل من عشرة الى آخر قوله . معناه أن لا تعلق بين البرهان والامر المبرهن واذ ذاك فلا يعد برهانا انتهى)

فاذا عرفت هذه المقدمة يمكن أن تفهم بغاية السهولة انه لا ارتباط بين ادعاء الرسالة والقدرة على الامور المستحيلة عادة اذ نفس ادعاء الرسالة لا تقتضى القدرة على الاشياء

التى هى من صفات المرسل . مثلا اذا ادعى رجل
انه رسول من قبل السلطان لاجراء حكم أو تبليغ
أمر أو نهى فنفس ادعاء الرسالة لاتوجب ولا
تقتضى أن يكون الرسول قادراً على أفعال السلطان
ومتصفاً بأوصافه من قبيل القدرة على جرّ العساكر
وفتح الحصون وقتل النفوس ونصب الوزراء
وعزل الامراء وأمثالها . بل لو كان الرسول
قادراً على بعض تلك الامور لايظهره حين الاقتراح
والطلب لعدم الارتباط والتعلق بنفس الادعاء
مثلا اذا ادعى أحد أنه والى مملكة بنجاب من
ممالك الهند من قبل ملكة انكلترا وعارضه قوم
من الاهالى وطلبوا منه برهانا على صحة دعواه
هو بالضرورة يستدل بفرمان الملكة وكتابها الذى
أعطته اثباتا لمنصبه وحجة على ولايته . فلو فرضنا
أن القوم ما أذعنوا لكتابه ولم يعتنوا بفرمانه بحجة
انه يمكن أن يكتبه كل نفس ويختلقه كل شخص

وطلبوا منه آية من آيات الملوك أو فعلا من أفعال
الامراء من قبيل حبس نفوس وقتل أشخاص
ونصب آحاد وعزل أفراد كما هو معهود من
شؤون الولاة والامراء ليذعنوا ببرهانه ويخضعوا
لسلطانه هو بالبداهة لايتنازل لاجابة سؤلهم
واسعاف مأمولهم ولا يستدل الا بكتاب الملكة
ولا يتمسك الا بفرمان مالكة المملكة ولو كان
قادراً على ما طلبوا منه من النصب والعزل
والحبس والقتل. لان لهذه الامور أوقاتاً وأحوالا
ومقتضيات ورجالا لا يمكنه ان يغيرها من قبله .
أو يبدل شيأ منها من تلقاء نفسه . وهذا سر قوله
تعالى (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ
اللهِ) فانه ليس ارسال الرسل وتشريع الشرائع
الدينية فى عالم الروح الا كارسال الامراء ونصب
الولاة وتشريع الشرائع الوضعية المدنية فى عالم
الملك .

ومما قررناه يظهر جلياً ان قوله تعالى فى سورة الانعام (قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مايُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ) انما هو تعليم الدليل العقلى والبرهان الواضح على ان ادعاء الرسالة لا تقتضى ولا تستلزم القدرة على أمور غير ممكنة فى العادة فان من يدّعى مثلا انه يعلم الغيب يرتبط امتحانه فى معرفة غيب مخصوص بنفس المدّعى لان هذا الغيب المخصوص فرد من أفراد كلي معرفة الغيب الذى ادعاه المدعى وبينهما رابطة الكلية والجزئية ووجوب صدق الكلى على افراده .. ومن يدعى مثلا ان له قدرة على خزائن السموات والارض يرتبط امتحانه فى ايجاد شئ مخصوص منها بنفس المدعى لما قلناه انه فرد من أفراد ذلك الكلى ولا بدّ من انطباق الكلى على افراده

وصدقه عليها . وأما الرسالة فليست كلياً لتلك
المقترحات وصورة منتزعة منها فليس بينهما اذاً
أدنى رابطة . فالمقصود من الآية المباركة ليس نفى
القدرة بل نفى التعلق والرابطة بين ادعاء الرسالة
والقدرة على ما هو فوق العادة . وكذلك الآية
النازلة فى سورة الاسراء حيث قال جل وعلا
(وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ
يَنْبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ
فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا
زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالمَلاَئِكَةِ قبيلاً
أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ
وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حتى تُنَزِّلَ علينا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ
قُلْ سُبحانَ ربى هل كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رسُولاً)
فان ما أمر الله تعالى ان يقوله الرسول عليه السلام
جوابا على مقترحات القوم ليس الا تصريحاً على ان
ادعاء الرسالة لا تقتضى القدرة على المقترحات

المذكورة أعنى ان قوله عليه السلام (سبحانَ ربى هلْ كنتُ إلاَّ بشراً رسولا) انما ينفى الارتباط والتملق بين الرسالة والقدرة على تلك المقترحات ولا ينفى القدرة عليها . اذ يمكن عقلا ان يكون الرسول قادراً على تلك الامور ولكن ادعاء الرسالة لا توجب ولا تستلزم اظهارها كما ان الوالى قادر على نصب نفوس وعزل آخرين ولكن لا ينصب ولا يعزل اثباتاً لولايته بل حين ما يجيزه القانون وتقتضيه الاعمال والاوقات .

اذا تقرر هذا وثبت ارتباط الكتاب بادعاء الرسالة فنقول ان للآيات الكتابية أى الوحى السماوى مزايا ظاهرة على الآيات الاقتراحية التى عبروا عنها بالمعجزات أو العجائب بوجوه

(المزية الاولى) ان الكتاب له دلالة أولية على صدق الدعوى لما أودع فيه من الهداية التى بسببها أرسل الرسل وبعث الانبياء وهى من

صفات الفعل بخلاف سائر المعجزات فانها اما
منذرة الى الهلاك اذا صدرت بعدالاقتراح واما
تدل دلاله ثانوية تأييدية اذا صدرت بلا اقتراح
بسبب انها ليست من صفات الفعل ولا رابطة بينها
وبين النبوة والرسالة كماسبق ذكره مبسوطا . قال
القاضى العلامة محمد بن احمد بن رشد الاندلسى
فى كتاب الكشف عن مناهج الادله فى عقائد
الملة بعد ما بسط الكلام فى هذه المسألة (ولما
كان هذا كله انما فضل فيه صلى الله عليه وسلم
لانه فضلهم فى الوحى الذى به استحق النبي اسم
النبوة قال عليه السلام منبهاً على هذا المعنى الذى
خصه الله به . (ما من نبي من الانبياء الا وقد
أوتى من الآيات ما على مثله آمن جميع البشر
وانما كان الذى أوتيته وحياً وانى لأرجو أن
أكون اكثرهم تبعا يوم القيامة) واذا كان هذا
كله كما وصفنا فقد تبين لك ان دلالة القرآن على

نبوته صلى الله عليه وسلم ليست مثل دلالة انقلاب العصا حية على نبوة موسى عليه السلام ولا احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص على نبوة عيسى عليه السلام وان كانت أفعالا لا تظهر الا على أيدى الانبياء وهى مقنعة عند الجمهور فليست تدل دلالة قطعية اذا انفردت لانها ليست من أفعال الصفة التى سمى بها النبي نبياً وأما القرآن فدلالته على هذه الصفة مثل دلالة الابراء على الطب . (الى آخر كلامه) والى هذه النكتة التى غفل عنها الاكثرون أشيرت فى الآية الكريمة النازلة فى سورة العنكبوت وهى قوله تعالى (وَقَالُوا لَوْلَا انْزِلَ عَلَيهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِين . أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَرَحْمَةً وذِكْرَى لِقَوْمٍ يؤْمِنُون) فهذه الآية تدل دلالة واضحة صريحة على مطالب مما ذكرناه فى هذه

المقالة (الاول) ان سيدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما استدل على اثبات صحة رسالته بالمعجزات حتى كان القوم ينادون على رؤوس الاشهاد ان محمدا اذا هو نبي حق ورسول صادق لم لم يعطه الله معجزات . (والثانى) ان اظهار المعجزات انما هو من شؤون الله تعالى . وفحواه انه ليس من شؤون الانبياء عليهم السلام اذ ليس شأن النبي الا الانذار (الثالث) ان الكتاب دليل كاف وبرهان واف على صحة دعواه وصدق قوله . ثم علل ذلك بان فى الكتاب وحده اودع الله الرحمة والهداية والذكرى والموعظة التي بسببها ارسل الرسل وشرعت الشرائع . بل ولها وضعت المعارف وانشأت المدارس اذ هي مرقاة المدنية . وسلم الصعود الى مدارج الانسانية . وقوادم العقل للطيران الى العوالم الرحيبة الروحانية .

{ والمزيّة الثانية } ان الكتاب من الآثار الباقية الخالدة بخلاف سائر المعجزات وخصوصاً المقترحات فانها من الآثار الزائلة البائدة .

{ والمزية الثالثة } ان الكتاب سهل التناول يمكن ان يرسل الى كل البلاد ليراه كل طالب ويتناوله كل قاصد . بخلاف سائر المعجزات فانها تختص بالحاضرين دون الغائبين . ولهذين السببين الاخيرين اى البقاء وسهولة التناول سمى الكتاب بالحجة البالغة لانه يمكن ان يرسل الى اقصى المعمورة ويبقى الى انقضاء الدورة . فهب ان عيسى عليه السلام احيى ميتاً او ابرأ ابرصا وانطق اخرساً وان سيدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شق القمر وانطق الحجر واطاعه النجم والشجر اين هذه الامور من الانجيل والقرآن وما اودع الله فيهما من النور والبرهان فان الكتاب يقرؤ فى كل ناد . ويشاهد فى كل قطر

ويراه كل رآه ويسمعه كل سامع ويتعظ به كل مستعد ويستفيد منه كل مستفيد لتبلغ الحجة وتكمل البيّنة الى ان ينقضى الاجل المسمى وتبلغ الحقائق الى الغاية القصوى وتستعد للظهور فى النشأة الاخرى .

(والمزية الرابعة) ان العلم والكتاب انما هو اشرف الاشياء ليكون حجة اشرف الخلق . وهذه المسألة من المسائل الضرورية بل هى فطرية غريزية لا تحتاج الى مزيد بيان او اقامة برهان اذ ليس شرف وراء العلم والعرفان . ومن المعلوم ان شرف الانسان بالعلم ومستودع العلم هو الكتاب وهذا معنى قوله تعالى قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى والبَصِير افلاَ تَتَفَكَّرُونَ وقوله تعالى قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الّذينَ يَعْلَمُونَ والّذين لاَ يَعْلَمُونَ . والى هذا اشير فيما جاء فى اوّل كتاب الحجة من كتاب الكافى عن ابى عبد الله جعفر

ابن محمد احد ائمة اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما سأله زنديق بم أثبتّ الانبياء . فقال . لما أثبتنا ان لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز ان يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشرونه ويحاجهم ويحاجونه ثبت ان له سفراء فى خلقه يعبرون عنه الى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفى تركه فناؤهم فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم فى خلقه والمعبرون عنه جل وعزّ وهم الانبياء وصفوته من خلقه حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم فى الخلق والتركيب فى شيء من أحوالهم مؤيدين عند الحكيم العليم بالحكمة ثم ثبت ذلك فى كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والانبياء من الدلائل والبراهين لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم

يدل على صدق مقالته وجواز عدالته . (الى آخر كلامه) وفى هـذه المقالة الشريفة ملامح الولاية وصبغة وراثة النبوة والرسالة حيث خصص امتياز سفراء الله عن سائر الخلق بالعلم والحكمة من دون اشارة الى ما عند القوم من دلائل المعجزات وخوارق العادات

(والمزية الخامسة) ان خاصية طلب المعجزات واقتراح الآيات ضد خاصية ارسال الرسل وبعث الانبياء بالخط المستقيم . لان الفائدة الكبرى والسبب الاعظم لارسال الرسل وتشريع الشرائع انما هى أولا ابتلاء العباد وتمحيص الافئدة وتخليص القلوب لتمييز الخبيث من الطيب والفاجر من البار والكافر من المؤمن والشاك من الموقن ولتحقق الكينونات وبروز الحيثيات . فان أراضى القلوب وأشجار الكينونات قبل ظهور الانبياء ونزول الآيات ساكنة هادئة ساكتة هامدة فاذا أنزل الله

ماء الوحى وهطلت من غمام الالطاف أمطار الآيات اهتزت كل أرض وربت وأنبتت وبسقت كل شجرة وأورقت وأزهرت . فتظهر الحقائق المكنونة . وتبرز الآثار المخبوأة . فيعلم الجيدمن الردى والصالح من الفاسد والطيب من الخبيث وهكذا يتم التمحيص ويتحقق التخليص كما وُعدنا فى الصحف الاولى بغاية التصريح والتنصيص . وأما اقتراح الآيات على الانبياء وطلب المعجزات منهم . انما هو عبارة عن امتحان نفس الانبياء وتجريبهم . بل هو عين ابتلائهم وتخليصهم . وهو كما قلنا ضد فائدة ارسال الرسل ونقيض خاصية بعث الأنبياء . بل هو عين التكبر على الله والمكاشفة لارادته والمضادة لمشيئته والمعاكسة لحكمته . وهذا كما قلنا آنفا ينذر الى الهلاك والدمار . ويوجب الذلة والبوار . فتذكر قوله تعالى وَمَا نُرْسِلُ بِالآياتِ إِلَّا تَخْوِيفاً وهذاهو

المقصود مما ورد فى التوراة المقدس (لا تجرب الرب) وهذا هو المراد مما جاء فى الانجيل الشريف (ان الجيل الفاسق الشرير يطلب الآيات) ومن تصفح أحوال طبقات الناس أوان ظهور الانبياء وبدء النشأة الدينية يرى أن الطبقة العليا من المؤمنين كتلامذة عيسى عليه السلام وأصحاب سيدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ماجربو مظاهر أمر الله وما اقترحوا عليهم آية بل أذعنوا لظهور سلطانهم وسطوع برهانهم ؛ أو بتلاوة آياتهم ونفوذ كلماتهم فآمنوا وأيقنوا وماشكوا ولا ارتابوا فقاموا بهذه القوة التى ليست وراءها قوة على نصرة دين الله ونشر أمره وانفاذ كلمته واعلاء ذكره فاخرجوا أمما من الظلمات الى النور وأدخلوا أقواما من الشرك الى التوحيد وهدوا شعوبا من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن . فابقوا آثارا باهرة وأعمالا ظاهرة مما لا يشك

فيه بصير ولا يرتاب فيه خبير . وأما الذين طلبوا المجعزات واقترحوا الآيات . وجربوا رسلهم بالخرافات جُربوا قبل أن يجرّبوا وامتُحنوا حينما أرادوا أن يمتحنوا . فما آمنوا ولا أذعنوا بل تمادوا بكفرهم وعموا فى غيهم فهلكوا فيمن هلك من الغابرين . وبقيت قصصهم مثلا وعبرة للآخرين

هذه هى بعض مآثر الكتاب ووجوه رجحانه على سائر المعجزات من المقترحات وغير المقترحات . تلوناها عليك بمقدار ما أفاض علينا ربنا من غمام فضله . وأنعم به علينا من بحار علمه . ومنها يعلم سبب امتناع سيدنا عيسى عليه السلام عن اجابة اليهود حينما اقترحوا عليه الآيات وطلبوا منه المعجزات كما نقلناه عن الاصحاح الثانى عشر والسادس عشر من انجيل متى . وأمثاله كثيرة فى مواضيع أخرى . وأما القرآن الشريف

فغيه من الآيات الصريحة فى الامتناع عن اظهار
المعجزات ووخامة عواقب اقتراح الآيات مالا يمكن
الاتيان بجميعها فى هذه الوجيزة فنتلوا بعضاً منها
على أرباب الاذواق السليمة . وأصحاب الآذان
الواعية والقلوب الفهيمة . لعلهم يعرفون معنى
البيّنات . وينتبهون الى خطارة اقتراح المعجزات
ووخامة عواقب طلب الآيات . منها قوله
تبارك وتعالى فى سورة الاسراء ﴿ وَمَا مَنَعَنَا
أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ
وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ
بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً ﴾ ومن تدبر فى هذه الآية
الكريمة يرى أن فيها تصريحا غير قابل للتأويل
ان الله تعالى أبى وأمتنع أن يظهر المعجزات بسبب
ان الاولين كذبوا بها وأنكروا معجزات الأنبياء
فاهلكهم الله تعالى بتكذيبهم وأبادهم بانكارهم كما

أن ثمود ظلمت بالناقة وكفرت بهذه الآية فاهلكت وأعدمت . ثم علل هذه النكتة بأن الله تعالى لا يرسل بالآيات الا انذارا بالهلاك وأشعارا بالدمار ويشعر بهذه النكتة أيضا قوله تعالى فى سورة الانعام (قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ . قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ) ومن المعلوم ان ما يستعجله كفار مكة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما هو ان يظهر لهم آية كما هو الشأن عند ظهور كل نبيّ أو رسول أو داع الى الله فانه لم يظهر رسول الا وأول ما يقترحه الناس عليه هو اظهار معجزة من غير أن يلتفتوا الى دليليتها وعدم دليليتها فاذا أبى الرسول اجابة مسؤلهم يصرون على الطلب

ويظهرون اللجاج فى الاقتراح كما يدلك عليه قوله تعالى فى سورة الانعام (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) . فان اكابر العرب لما ظهر النبي عليه السلام وجرى بينه وبينهم من المناظرات مايعرفه الخواص والعوام كانوا يحلفون أشد الحلف ويقسمون باعظم الايمان ويقولون والله الحى القديم وبالله الحق العظيم لو أظهر محمد آية أى معجزة لنؤمنن به وكرروا الحلف وأصروا على اليمين فاجابهم الله تعالى بان الآيات عند الله يعنى

انه تعالى قادر على اظهار المعجزات الاّ انّه لو أظهر
معجزة لا يؤمنون بها لانه تعالى يقلب أفئدتهم
وأبصارهم ويتركهم فى حال العمه والترديد مثل حالهم
قبل صدور المعجزة المطلوبة فيمتنعون عن الايمان
والاذعان كامتناعهم قبل ظهور البرهان . وسبب
ذلك ماقلنا ان المعجزات لادلالة لها ذاتا على
الرسالة والنبوة . ولارابطة بين ادعاء النبوة
والقدرة على ماهو خارج عن الامكان فى العادة .
الاّ أن الناس باجمعهم الا قليلا ممن أيقظ الله
فؤاده بروح النباهة وأوقد فى مشكوة قلبه
مصباح اليقظة كانوا غافلين عن هذه النكتة .
جاهلين بعدم الارتباط بين الرسالة والقدرة
على اظهار المعجزة غريقين فى بحار الاوهام
الموروثة عن الجاهلية القديمة . ولذا كانوا
يقترحون المعجزات على رسلهم بلا تروّ ولا تأمل
أوّلا فلو فرض ان النبي أجاب مسؤولهم وأظهر

لهم الآية المطلوبة والمعجزة المقترحة ينتبهون
بفطرتهم الى عدم الدلالة وفقدان الرابطة فينكرونها
ويكذبون بها ويحملونها أما على السحر والشعوذة
أو غيرها من الامور الموهومة الباطلة فيتحتم
حينئذ عليهم الهلاك وينزل عليهم العذاب لما نقضوا
من ايمانهم وحنثوا فى حلفهم ونكثوا من عهودهم كما
أخبرنا عن الامم الغابرة الجاحدة . والملل الداثرة
البائدة . وهذا معنى ماعلل الله تعالى عدم ايمانهم
بتقليب أفئدتهم وأبصارهم أى تبديل أفكارهم وأنظارهم
وتغيير مجارى ادراكهم وأشعارهم . فاذاقلب الله
تعالى أفئدتهم وأبصارهم الى الالتفات بعدم الدلالة
لفقدان الرابطة بقوا ولا شك فى حالتهم الاولى من
الشك والترديد . اذ ليس الايمان الا اطمئنان
القلوب ولا يطمئن القلب الا بالبرهان المرتبط
. ولا ارتباط بين الرسالة وما كانوا يطلبون فصح
ان الله تعالى يذرهم فى طغيانهم يعمهون أى يترددون

• ثم ان الله تعالى أخبر رسوله الكريم عليه السلام
انه لو أظهر المعجزات الهائلة • والآيات الكبيره
الخطيرة من قبيل نزول الملائكة الى هؤلاء وقيام
الموتى وتكلمهم مع الاحياء وحشر كل شيء ظاهرا
عيانا على تلك الامة العمياء الا يؤمن الكفار بها
أى لا تؤثر هذه المعجزات فى هدايتهم • ولا تنجيهم
من ضلالتهم لان الهداية موقوفة بارادة الله تعالى
ومشيئته وموكولة الى اذنه وقدرته لا الى ظهور
تلك الآيات • ورؤية شيء من المقترحات • وسببه
ظاهر عند أهل البصارة لان الهداية والضلاله
تابعتان لما اكتسبته القلوب فى النشأة الاولى
والديانة السابقة من الرقة والقسوة والنور والظلمة
والنقاوة والكدورة لما قررناه ان الديانات باجمعها
شرعت باذن الله • وأنشأت وحفظت وبقيت الى أمد
معلوم وأجل مسمى بكلمته • وكلها طرق للوصول الى
الغاية القصوى وأبواب للدخول فى الجنة العليا

فالتخطى عنها بالضرورة يوجب الضلالة والسلوك فيها يوصل الى الهداية . فلاتجزى نفس الا بما اكتسبت يداها فى طىّ هذا البرزخ البعيد والامد المديد وما ربك بظلام للعبيد . ومنها قوله تعالى (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الذى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لايُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ . وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى ما كُذِّبُوا وَأُوذُوا حتى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِى الارْضِ أَوْ سُلَّماً فِى السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ) هذه الآيات الكريمة نزلت حينما كانت الاخزان أحاطت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واشتدت به الاحوال وضاقت عليه

المذاهب من كثرة ما اقترحوا عليه من المعجزات
وكذبوا واستهانوا بالآيات حتى كانوا ينسبون آيات
القرآن الى الشعر والافتراء وأساطير الامم الاولى
وحتى غلا بعضهم فى التثريب وبالغ فى التكذيب
وقال ودعا (اللّهُمَّ إنْ كانَ هذَا هوَ الحَقَّ مِنْ عندِكَ
فأمْطِرْ علينا حِجارَةً مِنَ السَّماء أوِ ائْتنا بِعذَابٍ
أليم) مشعراً بانه قاطع مستيقن فى تكذيبه غير
شاكٍّ وغير مريب فى انكاره . فانزل الله تعالى
هذه الآيات تسلية لنبيه عليه السلام مشعرة بانه
جلّ وعلا يعلم مقدار ما أحاطت به من الاحزان
واستولت عليه من الاشجان . ونبأه بان هؤلاء
الظالمين لا يكذبون رسول الله بل هم فى الحقيقة
يجحدون بآيات الله مشيراً الى ان تكذيب الرسول
كانه ليس بشئ فى مقابل جحود الآيات ومعارضة
الكتاب . وفيها من شديد التهديد ومخيف الوعيد
مالا يخفى على ذى النظر الثاقب والبصر الحديد

فانه مامن جبار انكر الكتاب واستهان بالآيات
وجاحد بالبينات الاّ وقصم الله ظهره وفلّ حده
وكسّر أنيابه . وأذل اعقابه . فقطع دابره وأهلك
ناصره حتى تضرب به الامثال ويعتبر به فى القرون
والاجيال . ثم ذكّر نبيه عليه السلام بمن مضى من كبار
الانبياء وسبقه من البررة الاصفياء بانهم كُذّبوا
واوذوا قبله فصبروا على مضض البلاء وتحمّلوا
شدائد الابتلاء حتى اتاهم نصر الله وغلبوا على اعداء
الله . فلا بدّ له أن يصبر كما صبروا ويتحمل الاذى
كما تحملوا . لان كلمة الله لا تتبدل وسنته فى كيفية
أرسال الرسل وتشريع الشرائع لا تتغير . ولقد اخبره
الله تعالى بقصص الاولين وحكايات السابقين
ليكون على بصيرة من امره وواثقاً بربه ومتيقناً
بغلبته ونصره . ثم خرج من مقام التسلية والتعزية
الى مقام التشديد والتنديد فقال جل ذكره وجلّت
عظمته ما معناه انه لو صعب عليك الصبر على

تكذيب الكفار واستهزاء الاشرار فاطلب ان استطعت نقباً فى الارض أو سلماً فى السماء لعلك تظفر بمعجزة وتاتيهم بآية ليسكتوا عن تكذيبك ويكفوا عن مخاصمتك. ثم نبه رسوله الكريم بان الله تعالى لو شاء ليمكنه أن يجمعهم على الهدى ويهديهم جميعاً الى شريعته المثلى. اليس الذي هدى وجهاء العرب وزعماء القبائل الى محجة الايمان وموهبة الاذعان مع ماهم معروفون به من شدة العصبية والانفة العربية والنخوة البدوية والصلابة الجاهلية قادراً على هداية الجميع. اليس الذى بدّل عداوة الأوس والخزرج بالاخوة الدينية والمحبة الروحانية بعد ما اهرق بينهم من الدماء ورسخت فيهم العداوة والبغضاء قادراً على جمع كلمة العرب على الايمان وترك الخصومة والعدوان . ولكن لو فعل لبطل حكم التمحيص والتخليص ولا يفرق بين الطيب والخبيث ولضاعت فوائد الامتحان

والابتلاء وخفيت حقائق الاشياء . وخلاصة القول أنه لو تدبر بصير فيما أودع الله تعالى فى هذه الآيات المذكورة من التسلية والتعزية والحث على الصبر والتذكر بما وقع فى الامم الماضية والملل السابقة ثم التوبيخ والتنديد فى حب اظهار المعجزة اكفاه علما بمواقع الآيات ونتائج طلب المعجزات كما هو معلوم عند اولى الالباب ومن عنده علم الكتاب .

ومنها قوله تعالى فى سورة البقره وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . يعنى قال الذين لا يعلمون معنى الدليل والبرهان ولا يعرفون نتائج طلب المعجزات وتأثير المقترحات لو كان محمد رسولا من الله لِمَ لا يكلمنا الله تعالى كما كلم بنى اسرائيل فى ايام

موسى او يظهر معجزة كما اظهرها السابقون من
الانبياء فاجابهم الله تعالى بان هذا القول شبيه بما قاله
الكفار من قبل رداً على الانبياء وجحداً لرسالتهم .
ومماثلة أقوالهم دليل على تشابه قلوبهم . فان الاقوال
تنبعث من القلوب وكما قال عيسى عليه السلام من
الاثمار تعرف الاشجار فاذا كان اقتراح المعجزات
من السابقين دليلاً وموجباً للتكذيب والانكار
وجالباً للهلاك والدمار كذلك سيكون فى اللاحقين
الى أن ترجع الحقائق الاولى فى يوم الدين يوم يقوم
الناس لرب العالمين كما اشير اليه فى قوله تعالى كَذَٰلِكَ
نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ
وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ

ومنها قوله تعالى فى سورة آل عمران الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ
يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ

مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وتحرير الخبر أن اليهود قابلوا سيدنا النبي عليه السلام وقالوا كانت سنة الله تعالى في تمييز الحق عن الباطل أنه اذا ادعى نبي انه رسول من الله وعارضه قوم كانا يقربان قرباناً الى الله تعالى فتنزل نار من السماء وتاكل قربان النبي الصادق لتكون علامة له وحجة على خصمه. اشارة الى ما وقع بين هابيل وقابيل ابني آدم وبين أليا النبي اي الياس عليه السلام والانبياء الوثنيين في زمان أحاب ملك اسرائيل كما هو مذكور في الفصل الثامن عشر من كتاب الملوك الاول من كتب العهد العتيق. فطلب اليهود من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان يظهر لهم هذه المعجزة ليروها ويؤمنوا به. ولكن الله تعالى امر النبي عليه السلام ان يجيبهم ويرد عليهم بان الانبياء والمرسلين جاؤا من قبل بالبينات وبهذه المعجزة المطلوبة فلم قتلوهم وكذبوهم ان

كانوا صادقين فى قولهم انهم يؤمنون به بعد
ماظهر لهم هذه المعجزة ويصدقونه بظهور تلك
الآية . الآن اليهود دهشوا من هذا الجواب
وتحيروا فى توجيه هذا الخطاب لان السامرين
انكروا الياس النبى عليه السلام لااليهود واليهود
الذين طلبوا تلك المعجزة من النبي عليه السلام لم
يكونوا موجودين فى زمان الياس حتي يؤخذوا
بجريرتهم ويؤآخذوا بانكارهم وتكذيبهم لان الياس
كان قبل النبي عليه السلام باكثر من الف وخمسمائة
عام فلا يصح ولا ينطبق عليهم توجيه هذا الملام .
فلما اخطؤا المرمى وجهلوا المعنى حسروا لثام الانكار
والتكذيب وابدوا صفحة الاستكبار والتثريب جهلا
منهم بكيفية الخلقه والانشاء وغفلة عن الحقائق
المقصودة من الموت والحياة والقيامة والرجعة .
فتم فيهم قوله تعالى فى محكم تنزيله بل كذبوا بما لم
يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله . ومنها قوله تعالى

فى سورة القصص (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون . قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين) ومنها قوله تعالى فى سورة الرعد (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب . الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب . الى كثير من امثال هذه الآيات الصريحة والبيانات الواضحة الدالة على ان الله تعالى أبى عن اظهار المعجزات حين اقتراح المكابرين واحتجاج المجربين ولا يري فى الانجيل المقدس ولا فى القرآن العظيم ادني استدلال بالمعجزات واقل اشارة فى اجابة

طلب المقترحات وليس ذلك الا لعدم التعلق
والرابطة وفقدان التأثير والفائدة وجهل الناس بمواضع
الدليل والحجة . فظهر مما ذكرناه وفصلناه واطلنا
الكلام فيه ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
ستدل على صدق ادعائه بالكتاب لما جعل الله
فيه من النور والهداية والرحمة وابى عن اظهار
المعجزات المقترحة لما فيها من الهلاك والضلالة
والنقمة فينتج مما تقدم ان ماروى من المعجزات
فى السير والاخبار ان لم يكن فيها منافاة مع صريح
القرآن يمكن ان يعتمد عليها وتتخذ من الادلة
التأييدية والبراهين الثانوية وان وجدت فيها مخالفة
مع صريح القرآن والانجيل فلا صحة فيها ولا يستدل
بها . وايست فى فهم هذه المسألة صعوبة واشكال
ان لم تكن بـ القلوب اكنة واقفال . والقاعدة
الكلية المعتبرة عند اهل العلم والحكمة هي ان
من المعجزات مايرجع الى كلية الروح المقدس

واحاطتها وقوتها فهى حق لاريب فيها كما ثبت
لدينا من السابقين ورأينا وشاهدناه من اللاحقين .
وما سواها فاباطيل واضاليل وأوهام وأحلام برقها
خلب وغمامها جهام . هذا مابدالنا من حجية
المعجزات وقد بسطنا القول فيها بالدليل العقلى
المنطبق على الكتاب الالهى ممافيه كفاية الطلاب
الهداية وغنية لأرباب الدراية .

فلنتكلم فى مسألة سبب حجية الكتاب واعجاز
الوحى السماوي. فانها أيضاً من المسائل التي كثرت
فيها الاقوال وتشعبت فيها الآراء وانتهت الى
الجدال بين العلماء فالتبس الأمر عليهم وضاعت
الحقيقة من بينهم ابعدهم عن معين الحياة واكتفائهم
بالملح الاجاج عن العذب الفرات .

فاعلم أيها السيد السند سقاك الله من الرحيق
الطهور وقربك الى مطلع النور ومشرق الظهور
انه لا كلام ولا نزاع بين الامم فى حجية الكلام

الالهى والوحي السماوي وانما النزاع والكلام
فى العلامة التى بها يعرف كلام الخالق عن كلام
المخلوق ويفرق بها بين الوَحيّ الالهية والخواطر
البشرية ونحن وان اشرنا اليها آنفا بما يكفى لانتباه
اولى البصائر إلا انه بسبب اجماله واختصاره لايفي
غالباً بالمرام بما تراكم على افئدة الطلبة من صدا
الأوهام واستهوتها ملفقات العقائد وزخارف
الكلام. فنكتب آراء الامم أولا فى هذه المسألة
ثم نتبعها بما هو رأينا فيها ونترك الحكم لاصحاب
الأذواق السليمة والافكار المستقيمة متوكلين على
الله ربنا ورب العالمين ومقصودنا ومقصود من
فى السموات والارضين. اما الامة الانجيلية من
الامم النصرانية كما بينه وقرره القس الفاضل فاندر
النمساوي فى كتاب ميزان الحق وغيره فى غيره تعتقد ان
كل كلام اسكت اقتضاء الروح فى طلب النجاة فهو
الكلام الالهي والوحي السماوى . اذ لاشك ان

الروح بطبيعتها مقتضية وطالبة للوصول الى الطمأنينة بالنجاة الحقيقية والحيوة الابدية واللذة الدائمية . فاذا وجد كلام اطمأنت به الروح فى الوصول الى هذه الدرجة المطلوبة والغاية المرغوبة فلا يبقى فيه شك انه كلام الله وهذه العلامة مخصوصة بالانجيل المقدس دون كتب سائر الملل مثل كتب الامة الاسلامية والامة البوذية والامة البرهمية وغيرها هذه هى خلاصة تقريرهم فى معرفة كلام الله وتمييزه عن كلام البشر . الا ان العالم النبيه يلتفت ويدرك ان هذه العلامة ليست علامة ظاهرة يفحم بها المكابر ويقطع بها حجة المجادل بل هى عين الدعوي وموضع المسألة اذ كل امة وخصوصاً علماؤهم يدعون ويعتقدون ان هذه الفائدة مخصوصة بكتابهم دون غيره . اليس القرآن الشريف يصرح وينادى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ . اليست الامة البوذية تعتقد بكتاب كنفوسيوس مؤسس دينهم وشارع

قوانينهم بانه هو سبب النجاة ومأخذ الحياة وموجب لاطمئنان القلوب وسبب لانشراح الصدور • اليست الامة البرهمية تعتقد بكتاب ويِذوالامة الفارسية بكتاب أوِستاوَزَنْد بمثل ما تعتقد الامم النصرانية بالانجيل واليهود بالتوراة بل وكثيراً ما انجذبت وتنجذب قلوب الامم واطمأنت وتطمئن بكتب دون الكتب السماوية فى ديانتهم كانجذاب الصوفية بكتب مشايخهم والدروز والغلاة بكلمات اكابرهم • فما هو الفارق اذاً بين هذه الدعاوى الطائلة وما هو المرجح بين تلك الكتب المتباينة فثبت ان هذه العلامة التى قررها ذلك الفاضل ليست من العلامات الظاهرة والفروق الواضحة •

وأما علماء الاسلام فبعد ما رأوا أن فى القرآن الشريف تصريحات بانه هو الحجة الالهية والآية السماوية ولا يمكن لاحد الا الله تعالى أن يأتى بسورة من مثله ولا يأتى الباطل بين يديه ولا

من خلفه • فاختلفوا فى سبب هذا الامتناع وعلة
هذا الاعجاز اذ من المعلوم ان مجرد تصنيف كتاب
أو تلفيق عبارات ولو كان المصنف أمياً لا يعد
معجزة ولا يتخذ برهانا فذهب بعضهم ان نفس
سياق الآيات القرآنية وسبكها معجزة لا يمكن
لاحد ان يرتب كلمات بهذا السبك المخصوص أو
يسبك المعانى فى قوالب الالفاظ بهذا الترتيب
المعين وقال بعضهم ان اشتمال القرآن على الاخبار
بالامور الآتية هو سبب اعجازه كاخباره عن غلبة
الروم على الفرس فى بضع سنين يعنى قبل اكمال
عشر سنوات من نزول الآية وكثير من أمثاله
مما لا تمكن ان تدركه العقول البشرية قبل وقوعه
أو تبلغ اليه أفكار الناس قبل حصوله • وبطلان
هذين القولين وضعف الاحتجاج بهما لا يحتاج
الى مزيد تكلف وما اعتبرهما اكثر العلماء شيئاً فى
مقام الاحتجاج • اذ من المعلوم ان نفس سوق

الالفاظ والكلمات بهذا السياق ليست من الامور المستحيلة عادةً مهما كان سبكها وترتيبها وكذلك القول فى الثانى فان الآية حجة بنفسها قبل ان تحقق الاخبار المندرجة فيها . ولو كان الايمان موقوفاً بتحقق ماأخبر به فى الآيات لكان الناس معذورين فى بقائهم على الكفر والانكار الى زمان تحقق الخبر وهذا أمر ظاهر البطلان ولا تستقيم به الاديان

نعم لاشك ان فى القرآن المجيد وسائر الكتب المقدسة السماوية كثير من الاخبار عن الامور الآتية مما تهمّ الامم معرفته ويرتبط به نجاتهم وهلاكهم كمجيء الساعة التى عبرت عنها فى كتب الله تعالى باسماء عظيمة وأوصاف شتى من قبيل يوم الله ويوم الرب ويوم القيامة ويوم الحسرة ويوم التلاق وأمثالها مما فسرته الاحاديث النبوية بيوم ظهور المهدى وقيام روح الله . حتى جاء فى

الكتاب الكريم ذكر جميع حوادث هذا اليوم الفخيم ومجيء النبأ العظيم بجزئياته وكلياته واشراطه وعلاماته ومطلعه وميقاته كما عرفه أهله وأدركه حملته . ولا شك ان الاحاطة بعلم تلك الامور العظيمة المزمعة ان يبدها عالم الكون والاخبار عنها مؤرخا معينا مشروحا مفصلا من أعظم العجائب واكبر العظائم التي لا ينكرها الا الجاهل المكابر أو المجادل المتعنت . فيمكن والحالة هذه ان يعتبره العاقل من هذه الجهة معجزة كبيرة وآية عظيمة . والى هذه النكتة أشار من خصه الله بافضل الرغائب وأعظم المواهب أمير المؤمنين على بن أبي طالب في كثير من خطبه البليغة وكلماته النفيسة . منها ما أورده ابن عبد ربه في العقد الفريد رواية عن الحارث الاعور الهمداني انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم

ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل. هو الذي لا تزيغ
به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على
كثرة الردّ ولا تنقضي عجائبه هو الذى من تركه
من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله
الله هو حبل الله المتين والذكر العظيم والصراط المستقيم
خذها اليك يا أعور (انتهى) فثبت مما قلنا ان فى
القرآن الشريف من الاخبار عن الامور الآتية
مالا يمكن ان تدركه العقول البشرية قبل وقوعها
الا ان موهبة فهم تلك الدقائق وادراك هذه
الحقائق من بطون آيات الكتاب ليست من
المواهب العامة والمطالب المكشوفة الظاهرة
حتى تدركها كل نفس ويفهمها كل شخص فتتم
الحجة على الكل وتكمل البينة على الجميع ويصير
القرآن من هذه الجهة حجة بالغة ومعجزة دامغة.
كيف لا وفى نفس الكتب السماوية تصريحات
بأن تأويل آياتها أى معانيها الاصلية المقصودة لا

تظهر الا فى اليوم الاخير . يعنى يوم قيام روح الله
ومجيء مظهر أمر الله واشراق آفاق الارض
مشارقها ومغاربها ببهاء وجه الله . وقبل مجيء ذلك
اليوم الرهيب العظيم وقيام الرب القديم فالحقائق
الاصلية المقصودة من البشارات مستورة مختومة
بختم الله والابواب دون فهمها مسدودة مردومة
بقدرة الله . ولذلك جاءت تفاسير العلماء من لدن
نزول التوراة الى نزول البيان تافهة باردة عقيمة
جامدة بل مضلة مبعدة محرّفة مفسدة . وقد أشار
الرسول عليه السلام الى هذه الحقيقة فى الحديث
المشهور حيث قال . سيأتى زمان على أمتي لا يبقى
عندهم من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا
رسمه يدعون الايمان وهم أبعد الناس عنه مساجدهم
عامرة وهي خراب من الهدي فقهاء ذلك الزمان
اشرّ فقهاء تحت ظل السماء منهم خرجت الفتنة
واليهم تعود . وهذا الحديث الشريف صريح فى

اختلال التفاسير وبعدها عن الحقيقة اذ لوكان
التفاسير الموجودة عندنا على كثرتها على شيء من
الحقيقة لما يتم قوله عليه السلام (ولا من القرآن الا
رسمه) ولقد أعجبتني في هذا المعنى خطبة من خطب
أمير المؤمنين على بن أبي طالب المندرجة في نهج
البلاغة نأتى بها تذكرة لاصحاب الضمائر المطهرة
والبصائر المنورة فانها على وجازتها بلغت في حسن
البيان والانطباق على الحديث والقرآن وما عليه
الامة الاسلامية في هذا الزمان مبلغاً ليس وراءه
بعد كلام الله ورسوله مطلع لناظر ولا مرتقى لخاطر
وهي هذه حيث قال في أثناء خطابته . وانه سيأتي
عليكم زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر
من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله
وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب
اذا تلى حق تلاوته ولا أنفق منه اذا حرّف عن
مواضعه ولا في البلاد شيء انكر من المعروف

ولا أعرف من المنكر فقد نبذ الكتاب حملته
وتناساه حفظته فالكتاب وأهله يومئذ طريدان
منفيان وصاحبان مصطحبان فى طريق واحد
لا يؤوبهما مؤو فالكتاب وأهله فى ذلك الزمان
فى الناس وليسا فيهم ومعهم لان الضلالة لا توافق
الهدى وان اجتمعا فاجتمع القوم على الفرقة وافترقو
عن الجماعة كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب
امامهم فلم يبق عندهم الا اسمه ولا يعرفون الا
خطه وزبره ومن قبل مامثلوا بالصالحين كل مثلة
وسموا صدقهم على الله فرية وجعلوا فى الحسنة
عقوبة السيئة وانما هلك من كان قبلكم بطول
آمالهم ونغيب آجالهم حتى نزل بهم الموعود الذي
ترد عنه المعذرة وترفع عنه التوبة وتحل معه
القارعة والنقمة (انتهى) والمراد بالموعود فى الخطبة
الشريفة هو من وعد الله تعالى كل أمة ان يظهره
فى آخر أجلها وانقضاء أمدها كالمهدى فى الامة

الاسلامية والمسيح فى الامة الموسوية وقيام الروح
لجميع الامم حيث تنتهى الآجال وتنقضى الايام
فى يوم ينزل الرب فى ظلل من الغمام لا كما فسره
بعض الشراح بالموت فان موت الاشخاص ليس
سبب هلاك الامم ولا يختص بامة دون أمة ولا بنفس
دون نفس ولا يغلق باب التوبة على أمة باسرها بهلاك
افرادها بالموت العادي بل يغلق باب التوبة على
أمة باسرها حين ظهور الموعود وانقضاء الأجل
المحدود كما أشير اليه فى الحديث المشهور لا يغلق
باب التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها .

وخلاصة القول انه اذا تدبر وتعمق الانسان
النبيه فيما أخبر به كل رسول فى كتابه عن مجارى
حالات امته وكيفية أدوارها وصعودها وهبوطها
الى انقضائها وسقوطها يعرف بعد التفاسير الموجودة
عندها عن حقيقة مقاصد كتابها كما صرحت به
الاحاديث والآثار النبوية فى حالات الأمة

الاسلامية وكررته وشرحته الخطبة العلوية فلا
يبقي شك عند من لا يريد ان يغرر بنفسه ان
تلك التفاسير على ضخامتها وتطويلاتها وشقوقها
وتفننها فى أساليب البيان بعيدة عن المقاصد الاصلية
زائغة عن الحقائق المودعة فى الكتب الآلهية
مبعدة الامم عن الموهبة الاخيرة الكبرى والمنحة
الجليلة الخطيرة العظمى التى صرح ونادى بها
الانبياء فى البشارات النبوية وتضمنتها وحفظتها
جميع الصحف القديمة السماوية ويكفى فى اثبات
شدة غموض تلك المعانى أى الاخبار الواردة عن
الامور الآتية انه مع اشتمال الكتب على جميع
جزئياتها وكلياتها وميعادها وميقاتها انكرتها الأمم
وجهلها أهل العالم الا من خصهم الله بنور اليقظة
وأيقظهم بروح النباهة وهم قليلون معدودون بل
كما قال الامام هم متروكون مطرودون . وأما
الاكثرون فجهلوا معانيها حتي ظنوا ان القيامة

غير يوم قيام روح الله والساعة غير ساعة مجيء
مظهر أمر الله نخلقت أوهامهم وظنونهم فى معنى
هذا اليوم العظيم أموراً مستحيلة مجهولة وحوادث
عجيبة غير معقولة فكتبوا فى تفاسيرهم فى معانى
الصراط والميزان والحساب والكتاب والحشر
والنشر وأمثالها ما يتحير منه العالم اللبيب ويدهش منه
النبيه الاريب . وناهيك فى بعدهم وغفلتهم عن
حقائق الكتاب ان ابن خلدون المغربى شك فى
صحة أخبار ظهور المهدى الموعود وظن ان خبر
ظهوره متروك فى القرآن وما نزلت به آية من
آى الفرقان . وكفى ذلك جهلا منه بمعنى القيامة
وحقيقة الرجعة والمقصود من الساعة [1] والمفهوم
من الطامة والمستفاد من الراجفة وما يتبعها من
الرادفة فان كل تلك المفاهيم العظيمة حقائق فسرتها
الاحاديث النبوية بظهور المهدى ثم قيام روح

---

(١) أي الساعة الصغرى

الله وتجديد العالم وانقضاء آجال الامم واشراق
الارض بنور الرب الكريم وخشوع الاصوات
لدى ارتفاع ندائه العظيم • ومن مضحكات
العجائب بل من مبكيات الغرائب أن جماعة ممن
ظهروا بعد ابن خلدون وهم من المعتقدين بحجية
الاجماع اتبعوه فى هذه المسألة التى كادت أن
لا توجد مسألة اجماعية مثلها فى الامة الاسلامية
فانك لو تصفحت جميع الكتب المصنفة قبل
وجود ابن خلدون اترى العلماء الماضين رحمة الله
عليهم اجمعين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم
اجمعين متفقين فى صحة ظهور المهدى وأنه من
الامور المحتومة والقضايا المبرمة حتى سموه بالقيامة
الاولى والساعة الصغرى ولا ترى فى مدة سبعة
قرون وأزيد من لدن وفاة النبي عليه السلام الى
ولادة ابن خلدون أحداً من العلماء تجرأ على انكار
ظهوره وانبرى على تضعيف جميع أخباره • فخالفو

الجمهور وخرقوا هذا الاجماع المشهور وأفسدوا أكبر رجاء أهل الصلاح وقطعوا على الامة حبل الفلاح وسدوا على وجوههم أبواب النجاح . ولذلك ترى أكثر فقهاء أهل السنة والجماعة فى حالة عجيبة من اليأس عن عواقب الامة وامكان صعودها الى مدارج العزة والرفعة وايقين بالتقهقر والهبوط والانحلال والسقوط والى هذا أشير فى الحديث أن المهدي لا يخرج الا حين الأياس والقنوط . وأعجب من هذا وذلك انهم بعدما اشكوا فى ظهور المهدي وضعفوا جميع أخبار ظهوره ايقنوا بنزول عيسى عليه السلام وصححوا أحاديث نزوله فلو تسألهم عن مصادر هذه الاخبار [1] فى المصحف

---

(١) ان العلماء في زماننا اذا سألهم سائل عن خبر مجيء عيسى عليه السلام في القرآن يستدلون بقوله تعالى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) مع ان هذه الآية لا تخبر بمجيء عيسى بل تخبر بايمان أهل الكتاب

المجيد حيث صرح أن فيه تبيان كل شيء وفيه
تفصيل كل شيء لتراهم عاجزين عن الجواب مبهوتين
في الخطاب جاهلين بحقائق ما وعدوا به في الكتاب
لا يعرفون من آيات القرآن الا رسومها ولا
يذوقون من اثمار الفردوس الا قشورها فصح
فيهم قول الامام وتم عليهم نباء الرسول عليه السلام

فاذا عرف المقصود مما جمح به القلم وجرى
بنا في موضوع وعر خشن صعب قبوله على الامم
ثبت ما ذكرناه أن موهبة فهم الحقائق المودعة
في الكتاب من الاخبار الآتية ليست من
المواهب العامة حتى يدركها الكل وتتم الحجة

به قبل موته وانما المطلوب خبر مجيئه . على انه يجوز
ويحتمل ان يكون مرجع ضمير (موته) لفظ أهل
الكتاب أي وما من أهل الكتاب الا ويؤمن بعيسي عليه
السلام لوضوح حجته وظهور حقية دينه اذ ليس هنالك
دليل على ان مرجع ضمير موته هو عيسي عليه السلام

على الجميع بل هى من المواهب الخاصة التى خص الله بها أصفياءه وألهم أولياءه وأحباءه . فلا يصح والحالة هذه أن يسمى القرآن من هذه الجهة حجة بالغة ومعجزة كافية وكثير من العلماء خصوصاً فى القرون الوسطى ذهبوا الى أن سبب اعجاز القرآن هو فصاحة آياته وبلاغة عباراته حيث عجزت الامم عن مجاراته وقصرت قوة أهل العالم عن مباراته وسبب حدوث هذا الرأى أن علماء القرن الثانى والثالث والرابع الاسلامى راجت وانتشرت بينهم علوم اللغة العربية ونبغوا وتقدموا فى الفنون الادبية ونالوا الرتب العليا والحظوة الكبرى فى الخلافة العباسية والفاطمية والاموية فأورقت وأزهرت بينهم فنون الكتابة والخطابة وبسقت وأثمرت غصون الفصاحة والبلاغة وجلهم ان لم نقل كلهم كانوا منهمكين فى شهواتهم منغمسين فى غمرات لذاتهم كما يشهد به صريح مصنفاتهم

وينطبق به تواريخ أدوار حياتهم . وهذه لاشك
مما يعمي بصيرة الفؤاد ويبعد المرء عن سبيل السداد
ويضله عن طريق الهداية والرشاد . فلما وجدوا
بلاغة آيات القرآن فى الدرجة العليا وحسن نظمها
ولطف ترتيب الفاظها فى الحد الاسمى ووجدوا
نفوسهم عاجزة عن مباراتها وأقلامهم قاصرة عن
مجاراتها اعتقدوا بأن صفة الفصاحة والبلاغة هى
سبب اعجازها وموجب امتيازها فانتشرت هذه
العقيدة بين الامة وقبل اليها أكثر أفاضل الملة
وروجها العلماء فى جهاتهم ودونوها فى مصنفاتهم
حيث كانت هذه هى رأى الكتاب والوزراء
وعقيدة أكابر دار الانشاء الذين كانت بيدهم
السلطة العليا فى الخلافة العظمى . وقد قيل الناس
على دين ملوكهم فكان الاكثرون يتبعونهم فى
آرائهم وسلوكهم . وخلاصة تقرير الدليل على
رأيهم هى أن الرسول عليه السلام تحدى بالقرآن

وصرح فى مواضيع منه أن العرب اذا لم يذعنوا
بأن القرآن من الله تعالى فليأتوا بسورة من مثله
وأخبر وصرح بأنه لا يمكنهم أن يأتوا بمثله ولو
اتفق جميع من على الارض وساعد وأعان بعضهم
البعض وكذلك أخبر وصرح بأن الباطل لا يأتيه
من بين يديه ولا من خلفه . يعنى لا يتمكن الدعاة
الكذبة والذين يدعون النبوة والرسالة بدون
اذن من الله أن يلفقوا كتاباً مثل القرآن وينسبونه
الى الله فيروج فى العالم ويثبت وينتشر بين الامم .

ومن المعلوم أن أمراء العرب ورؤساء هذه
الامة المعروفة بالصلابة والخشونة وشعراؤهم
وخطباؤهم على ما أظهروه فى مقاومة النبي عليه
السلام حتى بذلوا كل مرتخص وغال واقتحموا
الشدائد والاهوال فى محو أمره وتوقيف دينه
وقهر أتباعه ومحاربة أشياعه عجزوا عن اتيان مثل
القرآن وأفحموا بهذا البرهان اذ لولا عجزهم لجاؤا

بمثله وما احتاجوا الى تقحم الاهوال وبذل الدماء والاموال فى مقاومة دينه. فنتج مما تقدم أن الامة العربية عجزت عن اتيان مثل القرآن وأفحمت فى مقاومة هذا البرهان . فاذا ثبت عجز فصحاء العرب وخطبائهم على ماهم معرفون به من فصاحة اللسان وبلاغة البيان يثبت عجز سائر الامم بالضرورة والبداهة اذ لا يعقل من الاعجمى الذى لا يعرف من اللغة العربية شيأ أن يأتى بكتاب عربى عجزت عن مثله فصحاء القبيلة القرشية وفحول رجال الامة العربية . فثبت مما تقدم عجز أهل العالم وافحام الامم من العرب والعجم وهذا هو معنى المعجزة الظاهرة والآية السماوية الباهرة .

هذه هى خلاصة احتجاجهم وغاية استدلالهم فى اثبات اعجاز القرآن من جهة الفصاحة والبلاغة وقد استهوتهم طلاوتها الظاهرة وغفلوا عما ينجم منه فى الآخرة. فملؤا منها الدفاتر والصحف وأفردوا

لها الرسائل والكتب وناهيك كتاب الباقلانى في اعجاز القرآن فانه أطنب وأسهب و بزعمه أطرب وأعجب حيث وشحه بنفائس مقالات آل أبي سفيان وأردفه بجلائل خطب بنى مروان كأن خطب زياد وحجاج تزيد فى قوة الدليل واتقان الاحتجاج ولكن من أمعن فى الفحص وتعمق فى البحث وأوتى البصيرة فى النظريات وسلامة الذوق فى العقليات يرى ضعف حجتهم ووهن استدلالهم هذا من وجوه شتى . نذكرها هنا طرفاً منها لعل الله تعالى يحفظ بفضله أهل زماننا من عثرات الاولين وينهضهم من كبوة المتقدمين ويشيلهم من صرعة السابقين .

(الوجه الاول) أنه لو كان سبب اعجاز القرآن فصاحته وبلاغته لما يصدق عليه أنه هو الحجة البالغة ولما يوجد فرق بينه وبين سائر المعجزات لان الفصاحة والبلاغة وصفان

لا يدركهما الا علماء هـذا الفن ومن المعلوم انهم قليلون جداً بالنسبة الى غير العالم بهما . فالامم العظيمة مثل عامة العرب والفرس والترك و الهنود والصينيين وأهل أوروبا وأمريكا وأفريقياً ممن لا يعرفون من اللغة العربية شيئاً لاسبيل لهم الى معرفة أعجاز القرآن ولا يمكنهم أن يذعنوا لحجيته الا بقبول قول تلك النفوس المعدودة القليلة من علماء هذا الفن . وهذا هو عين التقليد وقبول قول الغير من غير دليل كما قبلت كل أمة قول أفراد قليلين فى صدور خوارق العادات عن الانبياء والمرسلين بل وعن المشايخ والمرتاضين فما بقى اذاً فرق بينه وبين سائر المعجزات وخوارق العادات مما ترويه الامم عن أكابرها و مشائخها وينتهى بلا شك الى تناقض الحجج و تصادم البراهين وضيق المخرج كما لايخفى على المتبصرين والمنصفين هذا اذا ثبت اتفاق علماء البيان فى مسألة عجزهم عن

اتيان مثل القرآن وأنه فوق طاقة البشر في حسن النظم والاتقان وأما اذا لم يثبت هذا الاتفاق فلا يبلغ القرآن اذاً حدّ سائر المعجزات فضلا عن كونه حجة بالغة ومعجزة دامغة ومعلوم عند أرباب العلم والاطلاع ان فصحاء الامة العربية من لدن ظهور النبي عليه السلام الى زماننا هذا ما اتفقت على هذه المسألة فى قرن من القرون وما انقضى قرن الا وكان فيه من العلماء من لا يعترف بأن القرآن بلغ حد الاعجاز فى فصاحة الكلام وبلاغة البيان كما سنذكر لمعاً من عباراتهم ونشير الى نبذ من انتقاداتهم وهل يشك عاقل ان كبار أهل التصنيف والتأليف مثل بطرس البستانى صاحب محيط المحيط والعلامة الشهير الشيخ ناصيف اليازجى صاحب مجمع البحرين ونجله المحقق الشيخ ابراهيم وغيرهم من كبار الفصحاء وأئمة اللغة ممن يضيق نطاق الرسالة عن ذكر أسمائهم ومصنفاتهم من الامة النصرانية لا يرون

من القرآن الشريف ما تراه الامة الاسلامية ولا
يعترفون بانه بلغ حدّ الاعجاز فى الفصاحة والبلاغة
كما اعترف به أهل الملة المحمدية . والسبب
العقلى لاختلاف الفصحاء فى هذه المسألة هو ان
صفة الحسن فى المحسنات المحسوسة كحسن البيان
وحسن الصوت وحسن الخط وحسن الخلق وأمثالها
انما هي من الامور الاعتبارية التى ليس لها حدود
معينة ومراتب محدودة وكمية معلومة حتى يحكم
العقل بتاتاً بأن الدرجة الفلانية انما هى الحد الفاصل
ومنتهى ما تبلغ اليه الطاقة البشرية . وينتج من هذه
المقدمة ان العالم بفن الفصاحة لا يمكنه ان يعين
هذه الدرجة ويحكم بها فكيف الجاهل بها . ولذلك
ترى ان فصحاء العرب وزعماء قريش مثل نضر
ابن الحارث وعتبة بن ربيعة وأبى سفيان بن حرب
وشيبة بن ربيعة وكعب بن الاشرف كانوا يستخفون
بالقرآن الكريم ويستسهلون الاتيان بمثله وينادون

ويقولون على رؤوس الاشهاد لو نشاء لقلنا مثل
هذا ان هذا الا أساطير الاولين. ولكن الامين
من المسلمين مثل سلمان الفارسى وبلال الحبشي
ومقداد وأبى ذر ممن لا يشار اليهم بالبنان ولا
يعدون من فرسان مضمار البيان اعترفوا وأذعنوا
بان القرآن هو كلام الله النازل من السماء والحجة
الكافية لجميع من فى عوالم الانشاء . وذلك لان
ادراك حلاوة الذكر ولذة الخطاب متسبب عن
نقاء القلب وصفاء الفؤاد لا عن معرفة فنون البلاغة
وحسن الانشاد

(والوجه الثانى) انه لو كان سبب حجية القرآن
فصاحته وبلاغته ليلتزم التصديق به معرفة هذا الفن
وليجب على من أراد الايمان به ان يتعلم العلوم العربية
من اللغة والنحو والصرف والمعانى والبيان والبديع .
وامثالها لان التصديق بشىء قبل معرفته هو عبارة
عن التصديق بالشيء المجهول وهذا لغو بالضرورة

وايجاب التعلم بالعلوم المذكورة على طالب الهداية
ينتهى الى الحرج وصعوبة المخرج بالبداهة وهذا
باطل باتفاق أرباب العقول . ولتوضيح المسألة نأتى
بمثال واضح فنقول . مثلا اذا دعا حضرة الفاضل
أحداً من الامة النصرانية أو الهنود البرهمية الى
الشريعة الاسلامية والديانة النبوية كما هو مأمور
به فى قوله تعالى (أُدْعُ إلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ
وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ) وقوله جل وعلا (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ
أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ . فهو بالبداهة يطلب من
حضرة الفاضل برهاناً على صحة مبدأ الاسلام
وصدق النبي عليه السلام . فاذا استدل الفاضل
بالمعجزات المأثورة في الاخبار هو يردها بصريح
آيات القرآن كما شوهد فى كثير من الاحيان . ولا
يفيد هناك انتقاض قوله بما ورد فى الانجيل
المقدس أيضاً من رد المعجزات وعدم اجابة سيدنا
عيسى عليه السلام شعب اليهود حين اقترحوا الايات

لان تقليد الآباء فى الاديان الوراثية لايستلزم
التقليد الاعمى من غير دليل في الديانة الاجتهادية .
فاخيراً ينتهي بالبداهة هذه المناظرة الى الاستدلال
بالقرآن العظيم والكتاب الكريم . حينئذ يردّ على
حضرة الفاضل بان تصنيف كتاب ولو كان المصنف
أمياً لايستلزم ان يكون نبياً . فما هى العلامة
المخصوصة بالقرآن لنتيقن بها انه نزل من لدن
ربنا الرحمن . فيجيبه حضرة الفاضل بان القرآن
العظيم بلغ فى مراتب الفصاحة والبلاغة الى درجة
لايمكن لجميع أفراد البشر ولو اجتمعوا وتظاهروا
واتفقوا وتعاونوا ان يأتوا بسورة من مثله ولو من
السور الصغرى كما لايمكنهم احياء الموتى وقلب
العصا بحية تسعى والصعود الى السماء وغيرها من
الآيات الكبرى . فلو أجاب الرجل حضرة
الفاضل بانك احسنت التبيان واتقنت البرهان
فامهلنى برهة من الزمان لا تعلم علم المعانى والبيان

لا كون على بصيرة في أمر الدين ولا أ كون من
الجاهلين . حينئذ بالضرورة تسقط حجة حضرة
الفاضل ولا تفيده المجادلة بالباطل . وهو محق فى
خطابه مصيب فى جوابه . وهب انه فى مدة عشر
سنوات أو أكثر تعلم اللغة العربية وتقدم وبرع
في الفنون الادبية حتى صار فصيحاً بليغاً وخطيباً
منطيقاً فمن يضمن لنا بعد طول هذه المدة انه يعترف
مثل علماء الاسلام بان القرآن بلغ حدّ الاعجاز في
الفصاحة والبلاغة ولا يعتقد مثل أكابر قريش
في صدر الاسلام وعلماء النصارى في هذه الايام
بانه من أساطير الاولين وليس له مزية على تصانيف
كبار الكتاب والمصنفين .

(والوجه الثالث) انه ليس في القرآن الشريف
ذكر ولا أدنى أشارة الى انه حجة ومعجزة من
حيث الفصاحة والبلاغة . والحال انه تعالى وسع
في هذا الكتاب المبين مجال الادلة ونطاق البراهين

على حقية رسالة النبي عليه السلام وصدق القرآن
بجميع فروعها وأقسامها مما يعرفه العلماء وحوته
صدور الاصفياء الذين طابت سرائرهم واطمأنت
ضمائرهم ويجهله الاغبياء ويستنكره الجهلاء الذين
اكتفوا من الاسلام باسمه ومن القرآن برسمه.
وقد نزل في وصف القرآن الشريف كما ذكرناه
سابقاً أن فيه تبيان كل شيء وقال تعالى شأنه (مافرّطنا
فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) وقال جل وعلا في
سورة يوسف (ما كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ
تَصْدِيقَ الَّذِي بَينَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) وهذه الآيات صريحة
في ان الله تعالى ماترك شيئاً يتعلق بالديانة الالهية
والشريعة النبوية أصولا وفروعا وحجة وبرهانا
ومصدراً ومآلا الا وفصله وبينه وأظهره وأعلنه
في هذا السفر المجيد والكتاب العزيز الحميد حتى
قيل في وصفه انه لاتزيغ به الاهواء ولا يشبع منه

العلماء ومن تركه قصمه الله ومن ابتغى الهدي فى غيره أضله الله . ولا يصح هذا الوعد والوعيد والتشويق والتهديد الا بعد اتمام النعمة واكمال الحجة وتوضيح البينة وايضاح المحجة . فهل يعقل بعد ذلك كله ان الله الذى فصل كل شيء فى كتابه أجمل في كيفية الاستدلال به وترك بيان سبب أعجازه وأوهم وأبهم فى ذكر علة حجيته حتى يحتاج الى ان يفصله العلماء ويكمله الادباء ويستشهدوا له بخطب بنى مروان ويزينوه بمناقب آل ابى سفيان . فلله در من قال .

أمور تضحك السفهاء منها

ويبكي من عواقبها اللبيب

هذه هي بعض وجوه ضعف الاحتجاج بالفصاحة ووهن الاستدلال بالبلاغة جئنا بها تذكرة لأولى الابصار وتوسعة لمجال الافكار فى حقائق الآثار . وليس المقصود مما ذكرناه أن

القران الكريم والسفر القديم لم يبلغ الدرجة العليا
فى الفصاحة والبلاغة أو يمكن لأحد من دون الله
أن يأتى بمثله فى اللطافة والرشاقة حاشا ثم حاشا .
فان أهل البهاء والمتمسكين بالكلمة المباركة العليا
يعتقدون أن مظاهر أمر الله جميع أوصافهم
ونعوتهم ومناقبهم وشؤونهم معجزة للخلق مفحمة
للخصم مقدسة عن الاشباه والامثال منزهة
عن النظائر والاعدال لا يشابههم أحد فى
وصف من الاوصاف ولا تضاهيهم نفس فى عمل
من الاعمال

فيتفرع مما ذكرناه أن الرسول عليه السلام
كما فاق الناس بأجمعهم فى جوده وسخائه وجماله
وبهائه وصبره وشجاعته وعلمه وحكمته وحلمه
ورأفته فاقهم أيضاً فى فصاحة لسانه وبلاغة بيانه .
ولذا نزل فى غير موضع من البيان بأنه لا يمكن
لجميع البشر ولو تمسكوا بكل الاسباب أن يأتوا

بمثل آية واحدة من آيات الكتاب . الا أن
الفصاحة والبلاغة ليست من الامور الظاهرة
الواضحة التى يدركها بالسهولة كل انسان وتعرفها
كل نفس لتكون الحجة بالغة وذريعة الاعتذار
مقطوعة ويكون العدل شاملا لجميع افراد الناس
والدليل ظاهراً والسبيل واضحاً لكافة أصناف
البشر . بل هى من الاوصاف الدقيقة الغامضة
ومقولة بالتشكيك على اصطلاح المنطقيين لها
مراتب غير محصورة ودقائق غير مكشوفة حتى
على فرسان مضمار الخطابة واعلام أصحاب
الكتابة . ولذلك قلنا أن علماء الفن وجهابذة البيان
عجزوا عن تحديد حد معلوم يفرق به من حيث
البلاغة والفصاحة بين كلام الخلق وكلام الرحمن
وفيه كفاية لأهل العرفان

وأما أهل البهاء وأصحاب السفينة الحمراء
الذين نبذوا أعباء التقليد وتسنموا أعلام التحقيق

يعتقدون أن كلام الله تعالى يمتاز من غيره بالنفوذ والغلبة فى هداية الخلق وانشاء أمة مستقلة وابقاء شريعة جديدة. ويعبرون عن هذه العلامة فى مصطلحاتهم بالخلاقية والقاهرية ويعتبرونها علامة كافية فى معرفة الكلمات الالهية والآيات السماوية. وخلاصة تقرير الدليل أن الكلام الذى يتحدى الداعى به وينسبه الى الله اذا ظهر منه التأثير التام فى هداية النفوس المستعدة الطالبة وقهر الامم المنكرة المانعة فأوجد أمة مستقلة نامية وشريعة جديدة باقية فلا يبقى ثمة شك انه هو كلام الله النازل من السماء والقدرة الظاهرة منه هى القدرة التى منذ القديم ظهرت من المرسلين والانبياء. والى هذه النكتة أشير فى المصحف المجيد حيث قال الله تعالى يُرِيدُ اللّهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكافرين وقال أيضاً جل وعلا الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى اللهِ مِنْ بَعْدِ مَااسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيد . وهـذه العلامة لا توجد الا فى كتب الله تعالى ويتمكن كل انسان ان يدركها ويفهمها منها سواء كان عالماً أو أمياً عربياً أو عجمياً شرقياً أو غربيا. فمن الذي يشك ان بني اسرائيل ما خرجوا عن ظلمات الجهل الى نور الايمان وعن ذلة العبودية الى عز الاستقلال الا بسبب التوراة . ومن الذى يجهل ان الامم الاروبية ما بلغوا الى رتبة التوحيد بعد الشرك وما وصلوا الى عبادة الله تعالى بعد عبادة الاوثان إلاّ بواسطة الانجيل . ومن الذى لا يعرف ان الامم الكبرى من حدود الشرق الاقصى الى أقاصى افريقيا ما خرجوا عن ربقة الوثنية وعبادة النار الى التوحيد وعبادة الله الا بهداية القرآن العظيم وما تحرروا عن اغلال العقائد الفاسدة والاعمال القبيحة وما وصلوا الى الاخلاق الفاضلة والعقائد الصحيحة الا بنور هذا السفر الكريم .

نعم قد ينتقد من لا يعرف الحقائق ان الديانة الاسلامية نفذت وغلبت بسيوف أمراء العرب لا بالكلمة الالهية والغلبة الروحانية كما ينتقد اليهود وغيرهم من البوذية والهنود على النصارى بعين ما ينتقد النصارى على الديانة الاسلامية . ويقولون ان ديانة النصارى انتشرت بمساعدة قياصرة الروم وجبابرة أروبا وأقيمت بالسيف والنار وأجريت في سبيل انفاذها من الدماء أنهار كما تشهد وتنادي به تواريخ الكنيسة في جميع الاقطار . وهذا الانتقاد كما يعرفه أهل الحق وهم باطل لا يعبأ به أهل النباهة ولا يتمسك بحبله الموهون الا أرباب السفاهة لان الدين الاسلامى انتشر ونفذ بين العرب قبل الهجرة كما ان الديانة المسيحية انتشرت ونفذت قبل تنصر قسطنطين الكبير . واعمر الله ان السيوف التى سلت فى اعلاء منار الحق ونشر كلمة الايمان لولا الانجيل ولولا القرآن لسلت فى نصرة الشرك وعبادة الاوثان

فهذه السيوف المسلولة والجيوش الجرارة والدول
القوية أيضاً وجدت وتمهدت وتشكلت بتأثير كلمة
الله وارادته وأذنه ومشيئته . ولولاها لما وجدت
هيأة اجتماعية تحت اسم النصرانية أو الاسلامية ولما
حصلت تلك القوة التي ليست وراءها قوة في العوالم
البشرية . ولقد قدر الله تعالى في سابق علمه وبالغ
حكمته أن يرسل الرسل ويبعث الأنبياء من
الاميين البسطاء المحتاجين الفقراء مطرودين
مضطهدين من الملوك والسلاطين والمترفين
والمستكبرين حتي ومن عشيرتهم الاقربين . منزهين
عن كل مايمكن ان يسود الانسان بسببه من العلوم
الكسبية أو الغنى والثروة المالية أو المنعة والعزة
المكتسبة من العصبية القومية . ليعلم كل منصف
حتى الفلاسفة متتبعي الاسباب والعلل ان تلك
القوة والقدرة الظاهرة من نفوذ كلامهم وغلبة
دينهم واعلاء كلمتهم وبقاء شريعتهم ليست مسببة

من تلك الأسباب المذكورة التي كانت متوفرة عند أعدائهم ومقاوميهم بل مسببة عن الارادة الالهية ومستمدة من القوة الغيبية السماوية . والى هذا المعنى أشير في قوله تعالى (اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) ولقد فسر في الايقن المقدس لفظ السموات بالديانات . فعلم منه ان الله تعالى رفع سموات الاديان بارادته الصرفة ومشيئته الخالصة لا بعماد من المال والثروة أو الملك والسلطة أو العزة والمنعة أو العلم والفلسفة مما يراه ويعتبره الناس عماداً في تأسيس المقامات الرفيعة الدنيوية والرتب السامية الملكية . فاستعير لفظ السماء للديانة لسموها ورفعتها وعلوها ومنعتها ولفظ العماد للأسباب المذكورة لان بناء كل مقام رفيع شاهق من المقامات الرفيعة الملكيه البشرية من السلطنة والامارة والرياسة والعزة وامثالها انما يبنى ويستقر عليها ويسند ويتوكأ عليها . فهي استعارة في غاية

البراعة والرشاقة وتعبير فى نهاية الحسن والبلاغة ولا يمكن ان يفسر لفظ السماء فى الآية الكريمة بالسماء الظاهرة فان من له المام بالفلكيات يعرف أنه لا يمكن أن يكون للسماء الظاهرة عماد . اذ لا يعقل ولا يتصور مرتكز لهذا العماد سواء نعتمد فى الفلكيات على الهيئة القديمة البطليموسية أو الهيئة الجديدة الاروبية .

وخلاصة القول أن أهل البهاء يعتقدون أن هذه العلامة أى هداية النفوس وايجاد الديانة الجديدة بقهر الاديان القديمة وتبديل العوائد العتيقة هى العلامة الظاهرة المميزة بين الكلمات الالهية والمصنفات البشرية ويعبرون عنها كما ذكرناه بالخلاقية والقاهرية . حتى أن أول نفس اذعنت بحقية رسالة رسول وصدق شريعته لو لم تعرف فى نفسها هذه الهداية ولم تشعر فى ذاتها بهذه المغلوبية لما كانت أول من صدقه ولباه وأتبعه وآساه فان محبة الدين

القديم الموروث راسخة في جميع النفوس والخوف
من تبديل أركانه وآدابه متمكن في أعماق القلوب .
فالهداية أظهر علامة في صدق النبوة والرسالة اذ
هي صفة الفعل ومرتبطة بالدعوى كالابراء للطب
ومعرفة السطوح للهندسة والبيع والشراء للتجارة
وصنع الاسرّة والابواب وغيرها للنجارة . أما
سمى الانبياء بالنبوة والرسل بالرسالة والشارعون
بالشارعية بهذا الوصف العظيم والاسم الكريم
بلى وهو الخلاق العليم . واذا تصفحت القرآن
المجيد تجد أن الله تعالى استدل بها في مواضيع متعددة
ووصف القرآن بانه حجة بما أودع فيه من الهداية
والرحمة ولا ترى موضعاً واحداً وصفه بانه أفصح
الكتب وابلغ الصحف فانظر في صورة القصص
حيث قال جل وعلا فلمَّا جاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِنْدِنا
قالوا لَوْلاَ أُوتِيَ مثلَ ما أُوتِيَ موسى أَوَلَمْ
يكفُرُوا بِما أُوتِيَ موسى مِنْ قَبلُ قالوا سِحْرَانِ

تَظَاهَرَا وقالوا إنَّا بِكُلٍّ كافِرون . قل فأْتُوا بِكتابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هوَ أهْدَى مِنْهُما أَتَّبِعْهُ إن كُنْتُمْ صادقين لترى أن الله تعالى الخمهم بقوله (فأتوا بكتاب من عندالله هو أهدى منهما) وما قال فأتوا بكتاب من عندالله هو أفصح منهما أو أبلغ منهما .

وكذلك في صورة العنكبوت لما انتقدوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدم صدور معجزة منه فقال الله تعالى وقالوا لَوْلا أُنْزِلَ عليهِ آيةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إنّما الآياتُ عِنْدَ اللهِ وإنّما أنا نَذيرٌ مبين . أوَلَمْ يَكْفِهِمْ أنَّا أنْزَلْنا عليكَ الكتابَ يُتْلَى عليهم إنَّ في ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنون . فبين الله تعالى مزية القرآن على سائر المعجزات وكفايته عن غيره بان فيه الذكرى والرحمة وما قال ان فيه الفصاحة والبلاغة . وقال الله تعالى فى أول سورة البقرة الٓمٓ ذَلِكَ الكتابُ لاَ رَيْبَ

فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ وما قال ان فيه فصاحة وبلاغة يعجز عن مثلها جميع العالمين . الى كثير من أمثالها مما هو غير خاف على من أوتى علم الكتاب وعرف معنى الحجة وفصل الخطاب . ولو كانت الفصاحة أو البلاغة هى العلامة الواضحة والاية المميزة الظاهرة فهلاَّ أشعر بها الله تعالى ولو فى آية ولولا نبه عليها وصرح بها ولو فى موضع من كتاب ماغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وما ترك من حجة وبينة الا ذكرها وجلاّها . فهل أخل بها وتركها للباقلانى ليكملها ويصيب مرماها . وما وقع القوم فى هذا الغلط وجاؤا بهذا السقط وما عثروا هذه العثرة الفاضحة وهفوا هذه الهفوة الواضحة الا بسبب أنهم هجروا ظلال غصون الشجرة المباركة النبوية وتركوا أثمارها اللطيفة الجنية وتمسكوا بفروع الشجرة الموصوفة فى القرآن فما جنوا إلاّ ثمار الخسران وما أتوا منها الا باشواك

الهذيان . فتمادوا فى غيهم وأصروا على باطلهم وتاهوا
فى ضلالتهم وترددوا فى جهالتهم وعموا فى سكرتهم
وانهمكوا فى غوايتهم وقست القلوب وطال الامد
حتى ظهرت فى عالم الوجود من نتائج الغفلة والجهالة
والنشوز عن الحق ما كان الائمة الهداة ينذرون
الامة منه ويخوفونهم به ويحذرونهم عنه . ونتج
منها ما يرى سوء عاقبته كل نبيه بصير ولا يراه
وان لاحت لوائحه العمه الضرير من خذلان الامة
واحاطة الغمة وظهور الزلازل والدواهى المخيفة
وتتابع الفتن المظلمة العنيفة وتفرق القلوب وتخاذل
الاولياء وتألب الخصوم وتكالب الاعداء بما ولّدتها
الاحقاد القديمة واورت زنادها الاحن الكامنة
فى صدور الامم العتيقة واثارت نقع فتنها القلوب
المريضة . والقوم هم غافلون وعن عواقبهم ذاهلون
وعن سفينة النجاة التى وعدوا بها معرضون
فذرهم يخوضوا ويلعبوا فقد طلع الصبح الذى

كانوا به يوعدون .

ولا يخفى على أهل الفضل أن أكابر قريش فى مبدء الامر لما نزلت الآية الكريمة فاتوا بسورة من مثله وأمثالها ظنوا وتوهموا أن الرسول عليه السلام استدل بفصاحة القرآن وبلاغته . فارادوا أن يقاوموه بفصيح كلماتهم ويقطعوا حجته ببليغ خطاباتهم فسموه معاذ الله شاعراً مجنونا وظنوا كلام الله تعالى هزلا ومجونا . فقالوا ساخرين ونادوا مستهزئين لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين . فلما نبههم الرسول عليه السلام بوجه الدلالة وأبان عن سبب الحجية وأفحمهم بما أودع الله تعالى فى القرآن من الهداية والرحمة وقوة انفاذ الكلمة وتأسيس الامة أنقطعت أنفاسهم واطفئت نبراسهم . فازمعوا على مقاومة الرسول بالقوة والسطوة فبدلوا القول بالسيف والحجة بالحرب وقاموا على المحاربة وشمروا

للمكافحة . فتحارب الفريقان وتصافت الفئتان حتى
وهنت القوة الباطلة وانكسرت شوكة الفئة الظالمة
وطفئت جمرة الوثنية وانفصمت عروة الجاهلية .
فانقطع الحجاج واللجاج في فصاحة القرآن
وبلاغته الى أن جدد علماؤنا الاحتجاج بها في
مصنفاتهم وشرحوها في افاداتهم وتدرعوا بها في
مناظراتهم . خصوصا في القرون الاخيرة التي
زادت فيها اختلاط الملل وتألفت فيها القبائل والامم
وكثرت الروابط بين عموم الناس وسهلت وسائل
الاخذ والعطاء بين كافة البشر . وبالطبع كثرت
بينهم المباحثات الدينية وانتشرت المناقشات العلمية
وتفاقم الامر في المناظرات المذهبية . فانبرى علماء
النصارى لدحض حجج المسلمين وتوهين أدلتهم
في أثبات حقية الاسلام بفصاحة القرآن وبلاغته
واعجاز عبارته وبراعته . وكتبوا فيها مقالات
وفصولا وخلبوا بزعمهم ألبابا وعقولا . ومما لا يشك

فيه أنه بسبب ما بيناه وذكرناه من خفاء معنى
البلاغة والفصاحة على عامة الامم وصعوبة ادراكها
ودقة مدركها على أكثر الملل لابد من أن تؤثر
شبهاتهم فى كثير من النفوس الساذجة وتوجد
تشكيكاتهم شكوكا فى القلوب البسيطة. ولو مشى
علماؤنا فى اثبات اعجاز القرآن مشى السابقين الاولين
وسلكوا مسلك الائمة الهداة الراشدين لنبهوا
الامة وسدوا هذه الثلمة ولأناروا الابصار
واطمأنت بهم الضمائر . ولكن الله تعالى بسابق
علمه ومحتوم قضائه ودقيق حكمته وخفى تمحيصه
أبى الا أن يتم فيهم ما أنذرهم به الرسول عليه السلام
ويذيقهم بعض ما كسبت أيديهم فى سابق الايام.
فقد رووا فى صحيح أحاديثهم عن أبي داود والترمذى
عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال (اذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع عنها
الى يوم القيامة . ولا تقوم الساعة حتى تلحق

قبائل من أمتي المشركين وحتى تعبدقبائل من أمتي الاوثان . وانه سيكون فى أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي الله) الى آخر الحديث ونقلوا عن دلائل النبوة رواية عن أبى داود والبيهقى عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (يوشك الامم أن تداعى عليكم كما تداعى الاكلة الى قصعتها . فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ . قال بل أنتم يومئذ كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفنّ فى قلوبكم الوهن . قال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت) . الى كثير من أمثال هـذه الاحاديث الصحيحة التى أخبر فيها الرسول عليه السلام عما يؤول اليه حال أهل الاسلام وصدّقه تتابع الليالى والايام وأظهره كرور الدهور والاعوام . فطوبى لنفس عرفت آخرتها وأولها وألهمت فجورها وتقواها . طوبى

لقلوب اهتزت من نفحات يوم الله . طوبى لعيون تنورت من مشاهـدة آيات الله . وشامت تألق برق الهدى من حمى معهد اللقاء . وتشوفت الى رياض البقاء من مشهد الفداء . اولئك هم الراسخون الثابتون . اولئك عليهم صلوات من ربهم واولئك هم المفلحون

ونحن نوردهنا بعض ما كتبه علماء النصارى فى رد استدلال علمائنا بفصاحة القرآن . ثم نردفه بملاحظاتنا عليه افادة للطلاب وتكميلا لما تستلزمه الحجة فى هذا الباب . ونسأل الله تعالى أن يؤيدنا بروح منه انه هو ولينا فى المبدأ والمآب

ومن أعجب ما رأيناه فى هذا الباب كتاب صنفه جرجيس صال الانكليزى وسماه (مقالة فى الاسلام) وترجمه هاشم الشامي أحد نصارى بر الشام وذيله بتذييل مفصل باللغة العربية وطبعته الجمعية الدينية الامريكية فى عام (١٨٩١) من

الاعوام الميلادية ونشرته فى القاهرة المعزية حاضرة البلاد المصرية • ونحن نورد فى هـذه الوجيزة ايرادات كل من المصنف والمترجم والبادى والمذيل فيما يتعلق بفصاحة القرآن وعدم فصاحتـه حيث يوجد بينهما تناقض واضطراب وتباين واختلاب شأن كل من يرد على الله ويعترض عليه وليس له مبدء يتمسك به ويسند اليه • وهاهي بنصوصها وحروفها

﴿ قال الفاضل الانكليزى فى صفحة ١٢١ ﴾

وعبارة القرآن حسنة ومنسجمة فى اكثر المواضع ولا سيما حيث يحاكى أسلوب الانبياء ويتقيل نمط التوراة وهى موجزة وغالباً عويصة مستغلقة يزينها أنواع من الـكنايات والاستعارات بحسب ذوق المشرقيين • ولـكلامه رونق وزخرف وتحبير وفيه كثير من الجمل البليغة فى ايجازها • ثم انه فى مواضع كثيرة سنيّ رائع ولا سيما حيثما يأخذ فى ذكر عزة الله

وقدرته . وهو وان كان قد كتب نثراً فلجمله وفقراته رويّ كثيراً ما ينقطع من أجله المعنى قبل ان يتم ويتكرر اللفظ تكراراً سخيفاً لم يكن له لولا الرويّ من ضرورة . وهو فى النقل أشد سخافة منه فى الاصل لانه يفقد فى النقل حلية التسجيع التى جيء به من أجلها. لكنّ العرب مولعون بهذه الطنطنة أعني التسجيع جدا . حتى انهم يجيئون به فى أهم مصنّفاتهم واكثرها تحريرا. ثم يحلّونها بآيات مقتبسة من القرآن وباشارات اليه . حتى لا تكاد تفهم ما يكتبونه ما لم تكن مطلعاً اطلاعاً كافياً على القرآن .

ولعلّ ما ظهر للعرب فى هذا الكتاب من سلاسة العبارة وحسن الرصف هو مما حداهم الى قبول الدين الذي جاء به . ولعله قوّى فى القرآن حججاً ما كانت لتقوم بسهولة لو جيء بها عارية عن هذه الحلية من البديع وفنّ الخطابة . فكم وكم

من قصة تحكى عما لزخرف القول من التأثير وسحر العقول اذا أحسن قائله اختيار الالفاظ وتلطف فى سبكها وتنضيدها على ما يوافق غرضه فتفعل فى الألباب فعل الموسيقى . ولذلك صار مصاقع الخطباء يعزون الى هـذا الباب من فن الخطابة تأثيراً لا ينقص عن تأثير غيره من الابواب . ولعمرى ان من لا تشجوه فقرة متزنة اللفظ حسـنة السبك فبئس السمع سمعه . وما كان محمد يجهل ما لزخرف الخطابة من فعل السحر وسلب الالباب . فلذلك لم يهمل شيأ من بهرج البيان وزخرف الخطابة فيما ادّعاه من الوحى . هـذا مع افراغ جهده فى المحافظة على سموّ عبارته حتى يكون خليقاً بالاله الذى نحله اياه ونسبه اليه وبذل وسعه فى محاكاة أسلوب الانبياء أنبياء التوراة . فنجح فيما تجشمه أتم النجاح وخلب قلوب مستمعيه بزخرف قوله حتى خيل لخصومه أنه سحر كما نراه يشكو من

ذلك أحيانا . انتهى

(وأما المترجم والمذيّل)

فانه قال فى صفحة (٧٠) من تذييله على ذلك الكتاب

واعلم اننا لسنا ننكر ان القرآن فصيح فى بعض المواضع وانما ننكر دعواهم انه من حيث الفصاحة معجزة تفوق قدرة العباد كما أنكر ذلك قبلنا بعض فرقهم . أما فصاحته فى بعض المواضع على طريقة فصاحت العرب فمسلم بها ولا غرو أن يكون فيه شىء منها لان مصنفه من قريش أفصح قبائل العرب ونشأ فضلا عن ذلك فى بني سعد وكانو فى الفصاحة كقريش فاجتمع له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها وهذا ماحداه الى أن يقول متبجحاً انا أفصح العرب وأعطيت جوامع الكلم . ثم انه أقام فى تصنيف كتابه ثلاثا وعشرين سنة يختار فى

أثنائها من كلام قبيلته واظآره أبلغ أساليبهم ويتلقف
أفصح ألفاظهم ويعبر بها عما يقع فى خلده كلما تهيأ
له ذلك فجاء كتابه فصيحاً فى كثير من المواضع
لكن لا يلزم من هذا أنه معجزة كما أن أشعار
زهير وخطب قسّ بن ساعدة وألفاظ سحبان لا
تعد معجزة مع انها من البلاغة والفصاحة والنصاعة
بحيث لو قيس بها القرآن لفاتته بمراحل . ولو كان
القرآن كلام الله نفسه وكان الله يروم أن تتحدى
العرب بفصاحته لكان ينبغي أن يكون أفصح
مما نراه وأحسن نظاماً بكثير ولوجب أن يتنزّه عما
نراه فيه من اللحن والخطأ والركاكة وغير ذلك من
معايب الكلام التى ما قدر الله حق قدره من
نسبها اليه (انتهى)

ثم شرع المذيل في ذكر مواضع كثيرة من القرآن
الشريف زعم أن فيها ما يخالف الفصاحة والبلاغة وأثبت
فيها بزعمه عيوباً جمة ظاهرة من الخطأ واللحن

والركاكة من قبيل مخالفة القياس . والكلام
المبتور . والزيادة المخلة بالفصاحة المحيلة الى غير مراد
قائله . والالتفات من الغيبة الى الخطاب والخطاب
الى الغيبة . وتكرار اللفظ الواحد فى الجملة الواحدة .
وتنافر الحروف . والمعاياة وفساد المعنى . وغيرها
من معايب الكلام مما لو أمعن محقق نظره فى
انتقاداته ليرى انه مافلتت من سهام رده وانتقاده
الا آية الكرسى حث اعترف بعلو فصاحة هذه
الآية الكريمة لئلا يقال انه جاهل بالفصاحة والبلاغة
أو أعماه الغرض والتعصب بحيث لا يري الحقيقة .
ولا بدّ من أن يطلى الى تلك الشبهات كثير من أصحاب
الاحلام الضعيفة ويميل بها عن الحق أرباب القلوب
المريضة لان الناس بطباعهم متزلفون الى الفئة الغالبة
ميالون الى الشبهات الباطلة متملقون لارباب الجاه
والسلطة الزائلة . فكم رأينا من الناشئة الحديثة من
أبناء صميم العرب من يتعمد الرطان فى كلامه وعجمة

فى نطقه وتحريفا فى لهجته تقليداً لاهل الغرب
وتشبها بدعاة التمدن الحديث وتزلفا الى أهل الجاه .
وما نجحت تلك الشكوك والشبهات الا بسبب
انحراف المفسرين عن الصراط المستقيم فى بيان
كيفية حجية القرآن وتفسير آياته . فلو أثبتها العلماء
من طريقها وفسروها على وجوهها لما انتهى الأمر
الى المناقشات السخيفة والانتقادات الباردة .
وذلك لما أشرنا اليه سابقا ان الفصاحة والبلاغة
من الاوصاف الخفية الغامضة الدقيقة التى تختلف
فيها الاذواق وتتشعب فيها الآراء والانظار وتسهل
فيها المناقشة والمغالطة وتنطبع الشبهة فيها على
القلوب البسيطة والعقول الضعيفة . خصوصا اذا
ساعدتها العاطفة الدينية والرابطة الجنسية والعصبية
الجاهليه . وقلّ من يعرف حقيقة بلاغة البيان
وفصاحة الكلام من مهرة الكتاب وحملة
الاقلام . والا لكان كل كاتب مصنفاً بليغا

وكل متكلم خطيبا مصقعا منطيقا. فما أسهل المناقشة
فيها على المستأجرين وما أسهل قبولها على المستضعفين
ولكن ماظهر من الرسول عليه السلام بسبب
نزول القرآن عليه من العلم والقدرة على هداية
الامم وازالة اسقام أهل العالم وتأسيس الشريعة
الالهامية وايجاد الامة الاسلامية رغما للامم
الكبرى ومباينا للديانات العظمى أمر ظاهر
محسوس تصعب فيه المناقشة ولا تفيد معه المغالطة
فمن الذى يمكنه ان ينكر الامم العظيمة كالعرب
والفرس والخزر والترك والهنود والصينيين وأهالى
أفريقيا خرجوا من ظلمات الشرك وعبادة النار
والاوثان وانكار الانبياء ودخلوا فى نور التوحيد
وعبادة الله وحده والايمان بانبيائه ورسله وملائكته
وكتبه . فان تلك الامم العظيمة كانوا من عبدة
النار والاوثان قبل نزول القرآن وكانوا لا يعرفون
موسى وعيسى وسائر الانبياء عليهم السلام . فتلك

الامم اهتدت وأسلمت وآمنت بسبب السابقين الاولين من المسلمين والمسلمون انشأوا ووجدوا بسبب الاسلام والاسلام شرعه وأوجده النبي الكريم والنبي عليه السلام صار نبياً بما نزل عليه من القرآن العظيم . وهذا سر ما أفحم الله به المكابرين المكذبين بقوله (فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) . نعم كثيراً مارمى الاسلام بأنه نشر بالسيف وقام بالاجبار لا بالدعوة والحجة والاختيار . وقد فندناه واجبنا عنه سابقاً ونكرر الكلام فى هذا المقام اثباتاً للمطلوب وتثبيتاً للقلوب . فانه لو تصفحنا تواريخ المسلمين وقفّينا على آثارهم وتتبعنا أخبارهم لانجد فيها أدنى أشارة بان النبي عليه السلام أو الخلفاء وملوك الاسلام اجبروا أمماً على اعتناق الديانة الاسلامية . بل نرى بالعكس فيها ان الخلفاء الامويين والامراء المروانيين المعبر عنهم فى الكتب

المقدسة بالتنين الهائل أو الوحش الصاعد من الهاوية كانوا يمنعون الناس عن الدخول فى الديانة الاسلامية خوفا على الضرائب وتكثيراً للجزية لحرصهم على جمع الاموال وصرفها فى الشهوات الخبيثة واللذات الدنيئة . حتى كتب عمر بن عبد العزيز ذلك الملك الموصوف فى كتبهم بالعدل والزهد الى أحد الامراء توبيخاً له على منع الناس من الاسلام (ان محمداً عليه السلام بعث هادياً وما بعث جابياً) وهذا مما ينبه العاقل الى كيفية انتشار الاسلام ويكفينا مأونة البحث والتطويل فى هذا المقام . واما الديانة النصرانية على مانعتقد فيهامن انهاديانة الهية وشريعة سماوية لوتصفحنا تواريخها وتتبعناتصاريفها لنجدها ملطخة بالدماء مخبرة عن أفظع الانباء مملوءةمن ذكرأجبارالامم على اتباع دياناتهم بقتل النفوس وحرق الاحياء فكم اهرقوا دماء وأحرقوا أحياء وأرملو نساء وأيتموا أولاداً

وأبادوا أمماً وأعدموا اقواماً ترويجاً للتثليث وانتصاراً للصليب . ومن شاء الاطلاع على بعض ماذكرناه فليراجع تاريخ الكنيسة تأليف الفاضل المؤرخ يعقوب مردوك الامريكاني المطبوع فى القاهرة حاضرة بلاد مصر . وما نشاهده اليوم فى كيفية نشر دينهم يكفينا عن مأونة البحث والتنقيب فيما سلف . فان قباب مجد هذا الدين فى زماننا منصوبة على ثلاث دعائم . دسائس المبعوثين . ومدافع المحاربين . وهبات المساعدين . على علم منا ان التعليمات المقدسة المسيحية مستغنية بنفسها عن تلك الوسائل وبشارات الانجيل الجليل منزهة بذاتها عن تلك الغوائل . إلا أنه هو البشر اذا زلت قدمه عن الصراط وزاغت بصيرته فى رؤية الحق لا يرى قوة كلمة الله ولا يبصر نور بشاراته ولا يعرف استغناءه عن غيره فيتمسك بكل باطل ويستنصر من كل زائل . فلنترك انصار الدين

ليبهروا عقول العالمين ببنادق دُمْ دُمْ ومدافع مكسيم ولنف بما وعدنا به من الردّ على ما انتقدوا به على القرآن العظيم

وقد علم مما ذكرناه سابقاً أن اعتقادنا فى القرآن أنه حجة بالغة ومعجزة دامغة بسبب ما اودع الله فيه من القدرة والهداية لا ينافى أن نعتقد فيه بانه بلغ حدّ الاعجاز أيضاً من جهة الفصاحة والبلاغة . لانا أثبتنا أن مظاهر أمر الله عموماً والسدرة المباركة والكلمة الاولية خصوصاً كما فاقوا الناس فى جميع خلال الشرف وأوصاف الكمال من العلم والحلم والحكمة والشجاعة والصبر والعزم والحزم وغيرها من الاوصاف والخلال فاقوهم أيضاً فى جمال الصورة واعتدال القوام وبلاغة البيان وفصاحة الكلام بحيث لا تضاهيهم نفس فى وصف من الاوصاف ولا يماثلهم أحد فى خلق من الاخلاق . غاية ما فى الباب هى أن تلك الخلال ليست مما يدركه

كل انسان ويبلغ الى كل قطر وينتهى الى كل جيل لتكون الحجة بالغة والمعجزة شاملة . فاذاً والحالة هذه يجب أن نفى بما وعدنا به من ابداء ملاحظاتنا على ما كتبه الفاضل الانكليزى فى فصاحة القرآن وتفنيد ما زعمه وتوهمه فى سبب انتشاره ونفوذه بين الملل والاديان . فنقول متوكلين على الله المستعان

(قال صاحب كتاب مقالة فى الاسلام)

وعبارات القرآن حسنة منسجمة فى أكثر المواضع . ولا سيما حيث يحاكي أسلوب الانبياء ويتقيل نمط التوراة وهى موجزة وغالباً عويصة مستغلقة . الى آخر كلامه

(ونقول فى جوابه)

يوهم أن عبارات القرآن غير حسنة وغير منسجمة فى بعض المواضع . الا أنه بالدهاء التى عرفت بها الامة الانكليزية أبى عن تعيين تلك المواضع وتركها تحت الاجمال . علماً منه أنه

سيصادف صعوبات من حملة الاقلام واشياع الحق وانصار العلم وحماة الخطابة والكتابة وأعضاد الفصاحة والبلاغة . فاوقع فى شركه ذلك المسكين الشامي فعين بزعمه بعض تلك المواضع مما اوجب افتضاحه كما سيوضح ان شاء الله تعالى . ثم أوهم أن عبارات القرآن الكريم فى حمد الله وثنائه ونعمه وآلائه كأنها منتحلة من التوراة الجليل وتقوّله النبى عليه السلام من كتب أنبياء بني اسرائيل . ونحن لا نفند مازعمه وتوهمه بما نزل فى نفس القرآن حيث قال جلّ وعلا (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ) . ولا بما جاء فى الاصحاح الرابع عشر من كتاب حزقيل حيث قال الرب الجليل (واذا ضلّ نبيّ وتكلم بكلام فانا الرب قد أغويت ذلك النبي وسأمد يدى عليه وأبيده

من بين شعبي اسرائيل) . لان مراتب قدرة الله تعالى وقوته على تنفيذ ارادته وغلبته وقاهريته فوق عباده ومراقبته واحاطته على خلقه هي مما لا تراه الا عين العمشة ولا تدركه البصائر المطموسة ولا تفهمه القلوب المطبوعة . ولذلك لا يخشاه الا العلماء ولا يهاب سطوته الا النبهاء ولا يأمن بأسه الا الجهلة والاغبياء . ومن المقرر أن مالا يعتبره المغرورون شيئاً في زماننا انما هو ارادة الله ومشيئته واحاطته وقدرته . بل نقول لو أصغى الانسان الى أمثال هذه الشبهات ليلتزم أن يكذب جميع الانبياء ويترك كل الديانات الكبرى ويرجع متقهقراً الى الوثنية بل الهمجية الاولى . لان الامة النصرانية تقول أن محمداً تقوّل القرآن على الله وأنتحلها من الانجيل . واليهود يقولون أن عيسى انتحل تعاليمه من كتب انبياء بني اسرائيل . والزردشتيه (اى الفرس الاولى) تعتقد أن موسى وأنبياء بني

اسرائيل لفقوا كتبهم مما انتحلوه من كتب انبياء الفرس . والصابئة تقول ان المتأخرين جميعاً نهبوا تراث الاولين وانتحلوا لانفسهم فضائل الاقدمين . قال أحد كبار الزردشتية فى كتاب سُذْره وكُشْتي ماترجمته (ان داود الحداد أخذ عبارات الحمد والثناء والتوحيد والتفريد لله تبارك وتعالى من كتاب أوستا ومزجها بالاغانى التى انتحلها من فصحاء الفرس ولفقها باسم مزامير ونشرها بين رعاة آل اسرائيل) وقد تبين لك مما ذكرناه ان المتأخر يقول فى ردّ مظاهر أمر الله عين ماقاله المتقدم واللاحق يمشى على أثر السابق . والعاقل المحقق لا يرجح قول أمة على غيرها من غير مرجح والمرجح مفقود كما يعرفه اللبيب . فاذا جاز لأحد ان يشك فى القرآن باحتمال انه ربما انتحله النبى عليه السلام من كتب انبياء بنى اسرائيل بسبب مايوجد فيهما من صفات الله تعالى فلم لايجوز له ان يشك

فى الانجيل مع مايرى جميع تعليماته فى كتاب
كنفوسيوس نبىّ الامة العظيمه الصينية وشارع
الديانة البوذية . وهذا سر ماقلنا ان الاعتناء بهذه
الشكوك ينتهى الى عبادة الاوثان بل يوجب هدم
صروح جميع الاديان . وهل يوجد دين من
الاديان الا وقد وصف الله تعالى شارعه فى كتابه
بالوحدانية والفردانية والعزة والحكمة والقوة
والقدرة وغيرها من أوصاف الكمال ونعوت
الجلال . ثم وأى مشابهة توجد بين ماجاء فى القرآن
المجيد من اوصاف التقديس والتنزيه وماجاء فى كتب
انبياء بنى اسرائيل من نعوت الحلول والتشبيه .
هل يوجد فى القرآن أنه ترآءى له الرب تعالى كريح
عاصف وفى وسطه أربعة حيوانات ولكل واحد
أربعة أوجه ولكل واحد أربعة أجنحة وأرجلها
أرجل مستقيمة واقدامها كقدم العجل وهي تبرق
بريق النحاس الصقيل الى آخر ماجاء فى أول كتاب

حزقيل فى أوصاف الرب الجليل . وهل يوجد فى القرآن الكريم انه تراءى له الرب تعالى قضيباً ساهراً كما جاء في أول سفر أرميا . وهل يوجد فى القرآن العظيم انه تراءى له الرب جالساً على عرش رفيع واذياله تملأ الهيكل ومن فوقه السرافون قائمون لكل واحد ستة أجنحة باثنين يستر وجهه وباثنين يستر رجليه وباثنين يطير كما جاء فى الاصحاح السادس من كتاب أشعياء . الى كثير من أمثالها . وليس المراد مما ذكرناه اهانة الكتب المقدسة معاذ الله والحط من مقامها لاننا اظهرنا اعتقادنا فى وجوب اعتبار القسم الالهامى منها آنفاً . بل المقصود أثبات عدم المماثلة والمشابهة بينها وبين ماجاء في القرآن الشريف كما تمحله ذلك الفاضل وغيره من أصحاب الرد والتشكيك والتكذيب والتثريب . ومن عجيب مانرى النبيه فى كتب هؤلاء المكذبين هو تناقض ايراداتهم وتخالف

شبهاتهم فان فاندر النمساوى ردّ على القرآن الشريف
فى كتاب ميزان الحق بانه لا يشابه كتب أنبياء
بنى اسرائيل فى مقامات الحمد والثناء والاخبار
والانباء وهذا الفاضل الانكليزى يرد عليه بحكم
انه حذي حذوهم وحاكى أسلوبهم . فسبحان من
قسم العقول والاحلام وفرق بين المدارك والافهام

﴿ وقال المصنف أيضا ﴾

وهو وان كان قد كتب نثراً فاجمله وفقراته
روىّ كثيراً ماينقطع من أجله المعني قبل ان يتم
ويتكرر اللفظ تكراراً سخيفا لم يكن له لولا
الروىّ من ضرورة . وهوفى النقل أشدّ سخافة
منه فى الاصل لانه يفقد فى النقل حلية التسجيع
التى جيء به من أجلها . لكن العرب مولعون
بهذه الطنطنة أعني التسجيع جداً حتى انهم يجيئون به
في أهم مصنفاتهم وأكثرها تحريراً ثم يحلونها
بآيات مقتبسة من القرآن وباشارات اليه حتى

لاتكاد تفهم مايكتبونه مالم تكن مطلعا اطلاعا كافيا على القرآن (انتهى)

طال ما رأينا أن كتاب الامة الانكليزية ينددون على أهل الشرق ويلومونهم فى استعمال علم البيان وتحبير كلامهم بتنميق عباراته وترصيف الفاظه وتسجيع جمله . كأن ملاحظة تقاطيع الكلام وتزيينه بالرصف والترصيع والتسجيع وغيرها من فنون البديع سيئة لاتمحى وذنب لايغفر . وحقاً أن هذا من سقم الرأي وجحود الحق بل هو عين التمويه والمخرقة . ولم أدر لماذا يستحسنون الترتيب والترصيف وملاحظة حسن التقاطيع فى آثارهم ومصنوعاتهم ولا فى الصنائع والآثار التى تدوم دهوراً واحقاباً كالابنية والجسور والقناطر العظيمة بل وفى المصنوعات الجزئية والآثار الطفيفة أيضا كالثياب والاحذية والمناطق وأمثالها مما تبلى وتنعدم فى سنة أو سنتين . فلهم يتفننون فى اتقان

صنعها وتزويقها وترصيف ازرارها وتطبيق زواياها غاية التفنن ويهتمون بها كمال الاهتمام . فاذا كان هذا حالهم في الصنائع الزائلة والمهن الطفيفة لِمَ لا يجوزون لاهل الشرق أن يستعملوا الرصف والتنميق والسجع والترصيع فى النطق والبيان الذى هو أحسن مزايا البشر وأعلى خصائص الانسان . فان الانسان به يمتاز عن سائر أصناف الحيوان ومنه يصنف الكتب وتبقى الآثار الدينية والعلمية وتخلد الفضائل النقلية والعقلية وبه تهذب الاخلاق والاعمال ويتحلى الانسان بكرائم الاوصاف والخلال . اليس هذا من الشطط الفاضح والتمويه الكريه .

وليس هذا التنديد والتثريب الفارغ الآ لان لغتهم خالية عن كل مزيّة وعارية عن كل لطف وسلاسة . وعلم البيان انما هو هندسة الكلام كما ان معرفة السطوح ونسبة بعضها الى بعض هو

هندسة الاجسام . نعم يجب ان يكون الكاتب والخطيب بصيراً بحسن الترصيف والترتيب عالماً بمواضع الترصيع والتسجيع عارفاً بمواقع الاستعارة والتشبيه لئلا يختل به المعنى ويفسد به التركيب فيذهب بطلاوة الكلام ويخل بفائدة البيان . كما انه يجب على الصانع ان يكون بصيراً بحسن ترتيب أجزاء المصنوع ليظهر على هيئة ظريفة وهندسة مقبولة .

وقد قلنا فى سائر رسائلنا ان المحسنات البديعة فى الكلام انما هى بمنزلة الملح فى الطعام فليله نافع وكثيره مضر . وقلنا ان الفصاحة فى الكلام هى بمنزلة الحسن الاصلى فى الانسان فان الفصاحة فى الحقيقة ليست الا حسن ترتيب أجزاء الكلام وانتقاء الالفاظ المناسبة له كما ان الحسن الاصلى فى الانسان ليس الا اعتدال القوام وتناسب الاعضاء وتحسين الكلام بالمحسنات البديعية انما هو مثل

تزيين الانسان بالحلى والحلل الخارجية . فاذا لم يكن
فى الانسان حسن الخَلق الاصلى لا يحسّنه التزيين
الخارجي كما انه لو أفرط فى تلك الحلل الخارجية
لتستر حسنه الاصلى واعتدال قوامه الذاتى .
ولذلك لا يرى فى عبارات الحريرى والهمذانى
والخوارزمى وغيرهم من أئمة البيان وكبار الكتّاب
من اللطف والرقة والطلاوة وحسن السبك واتقان
الوضع ما يرى فى خطب أمير المؤمنين على بن أبى
طالب ورسائله وخطب سائر الأئمة والخلفاء .
مع ان عبارات الحريرى وبديع الزمان اكثر تصنعاً
وأوفر تسجيعاً وأتقن تقطيعاً لانها صنفت بالتكلّف
والتفكّر والتروى والتدقيق بخلاف خطب الائمة
فانها جاءت طبعاً وارتجالا من غير تكلف وتفكر
وترو وتأمل كما هو عادة أهل الانشاء والتأليف .
ولذلك قالوا (الطبع أملك) وهكذا النسبة بين كلام
الله وعبارات الائمة فانه الطف وأرق وأحلى كما

هو ظاهر عند أرباب البصائر والنهى

وما توهم المصنف من انقطاع معانى الآيات بسبب التزام الرويّ متسبب عن جهله بتلك المعانى كما شكى منه أولاً حيث قال (وهى موجزة وغالباً عويصة مستغلقة) وليست صعوبة ادراك معانى الآيات السماوية وبعدها عن افهام العامة خاصة بالقرآن العظيم وحده فان كلمات الانبياء بأجمعها صعبة مستصعبة مختومة مكتومة عويصة على القلوب المقلوبة بعيدة عن العقول الضعيفة خاب من رامها قبل مجيء ذلك اليوم الرهيب العظيم وضلّ من فسّرها قبل ان يفك ختمها الرحمن الرحيم وقد قرأنا فى كتب انبياء بنى اسرائيل نقلا عن الله تعالى (انى أريد أن أفتح فمى بالامثال وأنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم)[1] فلوكانت

---

(١) وقد جاء في الآية الرابعة من الاصحاح الثاني عشر من سفر دانيال (أما أنت يادانيال فاخفِ الكلام

معانى كلمات الله ظاهرة مكشوفة سهلة مفهومة يفهمه كل بعيد ويدركه كل غبي لم يبق ثمّ مكتوم حتى يفتح الله فمه به فى الامثال ويختمه انبياؤه فى سابق القرون والاجيال . وأظهر دليل على صعوبة فهم أيات الكتب السماوية هو أن علماء اليهود اتفقوا على عدم انطباق بشارات التوراة على عيسى عليه السلام فاتخذوها اقوى دليل على تكذيبه وعلماء النصاري أجمعوا على انها منطبقة على ظهوره تمام الانطباق فاستدلوا بها على تصديقه . اليس هذا أظهر حجة وأقوى دليل وأتم برهان على ان كلمات الانبياء بأجمعهم عويصة مستغلقة صعبة

واختم السفر الى وقت النهاية) وفي الآية التاسعة منه (ان الكلمات مخفية ومختومة الى وقت النهاية) والى هذا اشير فى المصحف الشريف بقوله تعالى (يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)

فرج الله زكي الكردي

مستصعبة . على ان علماء اليهود أخذوا تفاسير الكتب بزعمهم عن آباء الكنيسة وورثوها كابراً عن كابر وحافظوا عليها جيلا بعد جيل . ومن هم آباء الكنيسة . هم الانبياء العظام اشعيا وارميا وزكريا وأمثالهم عليهم السلام . وحقيقة الامر ان الامة الاسرائيليه جهلت معانى بشارات التوراة ولذلك أنكرت عيسى عليه السلام وتبعتها الامة النصرانية واقتفت آثارهما الامة الاسلامية كما تشير اليه الكلمة النبوية (لتسلكنّ سنن من قبلكم شبراً فشبراً وذراعاً فذراعاً) (وقال المصنف أيضاً) ولعلّ ماظهر للعرب فى هذا الكتاب من سلاسة العبارة وحسن الرصف هو مما حداهم الى قبول الدين الذى جاء به ولعله قوىّ فى القرآن حججاً ما كانت لتقوم بسهولة لو جيء بها عارية عن هذه الحلية من البديع وفن الخطابة . فكم وكم من قصة تحكى عما لزخرف القول من التأثير وسحر

العقول اذا أحسن قائله اختيار الالفاظ وتلطف فى سبكها وتنضيدها على ما يوافق غرضه فنفعل فى الالباب فعل الموسيقى . ولذلك صار مصاقع الخطباء يعزون الى هذا الباب من فن الخطابة تأثيراً لا ينقص عن تأثير غيره من الابواب . ولعمرى أن من لا تشجوه فقرة متزنة الالفاظ حسنة السبك فبئس السمع سمعه . وما كان محمد يجهل ما لزخرف الخطابة من فعل السحر وسلب الالباب (وهو القائل ان من البيان لسحرا) فلذلك لم يهمل شيئاً من بهرج البيان وزخرف الخطابة فيما ادعاه من الوحى هذا مع افراغ جهده فى المحافظة على سموّ عبارته حتى يكون خليقاً بالاله الذى نحله اياه ونسبه اليه وبذل وسعه فى محاكاة أسلوب الانبياء انبياء التوراة . فنجح فيما تجشمه اتم النجاح وخلّب قلوب مستمعيه بزخرف قوله حتى خيل لخصومه انه سحر كما نراه يشكوا من ذلك احيانا .﴿ انتهى كلام

المصنف﴾

لايخفى على أهل العلم ان لكل مزيةومنحة من المزايا والمنح العالية المغبوطة من قبيل العزة والثروةوالملكوالسلطنة والعلم والفضل والفصاحة والبلاغة وحسن الصوت وحسن البيان وغيرها ممايمكن ان تنفذ به الكلمة وتنجذب اليه القلوب قوة ظاهرة وغلبة وتأثيرات معلومة . الا انه لايعقل ان تبلغ قوة تلك المؤثرات الى حد تنشأ بها ديانة جديدة وأمة مستقلة تبقى قرونا واحقابا بدون اذن من الله تعالى . والا لتسقط حجة الديانات الحقيقة ويخفى طريق معرفة الشرائع الالهية وينهدم منار الحق وتنطمس اعلام الهداية . اذ لا يبقى ثم مميز بين الحق والباطل والهادى والمضل ولا فارق بين الهداية والضلالة والرشد والغواية . وقد بينا فيما مضى من مقالاتنا مقدار دليلية المعجزات وحجية العجائب وأثبتنا

بالبراهين الوضحة انه ليست لها دلالة تامة مستقلة
على صدق دعوى المدعى وحقية شريعة الشارع
. ولذلك أبى السيدالمسيح وامتنع الرسول الكريم
صلوات الله عليهما عن اجابة طلبة العجائب واسعاف
مأمول مقترحي المعجزات كما تشهد به مواضيع
من الانجيل وتنطق به آيات من القرآن . والامم
باجمعها شَرَعٌ[1] في رواية المعجزات عن شارع دينهم
واسناد العجائب الى مؤسس شريعتهم بل الى
شيوخ طرقهم وممهدي مذاهبهم بل الى أتربة
أوليائهم ومضاجع اصفيائهم . وقد وضع الله تعالى
للحق اعلاما لاتشتبه وبنى له مناراً لا ينهدم وقدّر
له امارات وآيات لاتنطمس . أعظمها وأوضحها
واجلاها تلك القوة الملكوتية التي لاتشاركه فيها
نفس والقدرة الالهية التي لا يأتي بمثلها أحد . وهي
قوة انفاذ الكلمة البديعة والقدرة على ايجاد الديانه

---

(١) شرع أي سواء

الجديدة . وهي القوة الوحيدة التي تغالبها قوة العالمين فتغلبها وتقاومها قدرة العلماء والامراء فى شرق الارض وغربها فتسقطها . فان محبة الدين المألوف القديم سجية راسخة فى قلوب العالمين وكراهية الدين المستحدث الجديد شنشنة معروفة في الجبابرة والمتكبرين . والى هذه القوة الملكوتية والقدرة اللاهوتية أشار السيد المسيح بقوله (من الآن ترون ابن الانسان جالساً على يمين القدرة وآتيا على سحاب السماء) وجاءت في أم الكتاب (لويستروننى فى طبقات التراب ليجدوننى راكباً على السحاب) واليها أشير في المصحف المجيد بقوله تعالى (ان جندنا لهم الغالبون) فلو فرض سقوط هذه الحجة الواضحة وصرف النظر عنها بشكوك واهية باردة . بم تثبت حقية الانبياء وكيف يفرق بين الحق والباطل والثابت والزائل

فاذا عرفت هذا يظهر لك بطلان ما توهم

المصنف من ان العرب ربما اذعنوا للقرآن الشريف بسبب فصاحة آياته وطلاوة عباراته . ثم اقسم بذاته وخاطر بحياته بان من لا تشجوه فقرة متزنة اللفظ حسنة السبك فبئس السمع سمعه . وفاته ان فتح باب أمثال تلك الشبهات يضر بدينه اكثر مما يضر بغيره ويثلم سياج الديانة النصرانية قبل ان يثلم به الشريعة الاسلامية فان اليهود يرمونهم بانهم سلبوا عقول السذج بزخارف الدنيا من الصفراء والبيضاء فى أول ماقامت قيامة هذه الديانة فى أقطار آسيا وأوروبا . ولعمر الله ان من ينجذب الى الفضة الوضاحة وينخدع من الذهب الوضاء اكثر بكثير ممن تشجوه الفقرات الموزونة والاغانى المطربة . خصوصاً اذا اختلق له أهل التمويه أعجوبة تنخلع منها القلوب البسيطة وتهلع لها النفوس الساذجة . راجع الفصل الخامس من كتاب أعمال الرسل لترى العجب العجاب مما يسلب العقول

ويأخذ بمجامع الالباب. والامة الانكليزية أدرى الامم بمحبة المال وفعله فى النفوس مما لو قيس به من تأثيرات الاغانى والانغام لفاتها بمراحل. فاذا اعتبرت أمثال هذه الشبهات الواهية فلا تتوقف دون الاسلام وقل على جميع الديانات السلام

نعم لكل من الثروة والقوة والسلطة والخطب والاشعار والاغانى والانغام آثار لا تنكر وأفعال لا تستر. ولكن كل تلك المؤثرات كانت عند منكرى القرآن أوفر واكثر وكان تأثيرها فى ابقاء النفوس على دياناتهم الاصلية وطريقتهم الموروثة أقوى وأسهل. وكان فى العرب ممن انكروا رسالة سيدنا الرسول وحاربوه وناصبوه العداوة كابى جهل وأبى سفيان بن حرب وعتبة وشيبة ابنى ربيعة ونضر بن الحارث وكثير من أمثالهم من مصاقع الخطباء ومشاهير الفصحاء ممن خلد ذكرهم فى متون الكتب وصفحات التاريخ. فاذا كانت

الفصاحة والبلاغة بهذه الدرجة مؤثرة ونافذة
فهلاّ أثرت تلك الالسنة الطليقة والخطب البليغة
والجمل الموزونة والنغمات الشجية فى ابقاء العرب
على دياناتهم الاصلية . وقبولها أسهل على النفوس
من قبول ديانة جديدة غير موروثة وطريقة غريبة
غير مألوفة . اليس ذلك لان قدرة الله فوق قدرتهم
ومشيئته فوق مشيئتهم . وان أسباب السماوات
قد تقطعت بها الاسباب . وان الديانة لا تنشأ
بتخليب العقول وسلب الالباب . أما صرح زميله
الشامي ان فى القرآن الشريف كثيراً مما يخلّ
بالفصاحة حتى كاد ان لا تفلت من سهام ردوده
واعتراضاته الا آية الكرسى فأين هذه الفصاحة
التى خلبت بها عقول القوم وسلبت بها الباب العرب
ولقد قال صاحب التذييل ان خصوم محمد لم يروا
شيئاً من المعجزة فى هذه المعجزة (اى فى كلامه)
فردّوها عليه وهم انما كانوا عربا فصحاء . وقال

أيضاً ان أشعار زهير وخطب قس بن ساعدة
والفاظ سحبان لا تعد معجزة مع انها من البلاغة
والفصاحة والنصاعة بحيث لو قيس بها القرآن
لفاتته بمراحل . وقال أيضا . ولو كان القرآن كلام
الله نفسه وكان الله يروم ان يتحدّى العرب بفصاحته
لكان ينبغي ان يكون أفصح مما نراه وأحسن
نظاماً بكثير ولوجب ان يتنزه عما نراه فيه من
اللحن والخطأ والركاكة وغير ذلك من معايب
الكلام . الى آخر كلامه . فهدم المذيل الشامي
ماشاده أستاذه الانكليزى فى أصل المقالة . ولعمر
الله لا يعقل ان الامة العربية التي كان فيها من
الشعراء والخطباء من لا تنكر فصاحتهم وبلاغتهم
وكان عندهم من خطب قس واشعار زهير
ما فاق القرآن الشريف بزعمه لتسلب عقولهم
وتخلب البابهم بالقرآن الذى فيه كما توهمه
من الركاكة واللحن والخطاء مالا يستر ولا يخفى

فاذا كان القرآن الشريف فى مراتب الفصاحة والبلاغة بدرجة أذهل الباب فصحاء العرب وأعجزهم عن مقاومته حتى خلعوا قميص دياناتهم الاصلية وتقمصوا بحلة الشريعة الجديدة الاسلامية فقد ثبتت صحة ماقاله علماء الاسلام أن فصاحة القرآن وبلاغته فوق طاقة البشر . واذا لم يكن فيه من الفصاحة والبلاغة ما يفوق فصاحة العرب وبلاغتهم فقد ثبت بطلان ما توهمه الفاضل الانكليزى من أن محمداً سحر الباب العرب بتزويق الكلمات وحسن ترتيب الآيات وصح أن هذا السفر الكريم والكلام القديم انما غلب أهل العالم بقوته الالهية وقدرته السماوية لا برصف الكلمات وتسجيع العبارات . والانسان لا يملك نفسه من الضحك حينما ينظر في تعريض ذاك الفطن الشامى حيث قال (ان خصوم محمد لم يروا شيئاً من المعجز فى هذه المعجزة فردوها عليه)

فهل رأى خصوم سائر الانبياء شيئاً من المعجز فى معجزاتهم وهل لم يردّوها عليهم . اليست الامة اليهودية أقرب الامم الى المسيح عليه السلام ترد عليه جميع معجزاته بعد انقضاء اكثر من الف وثمانمائة عام . أيجوز على أهل العلم أن تغلب عليهم العواطف الدينية أوالعصبية الجاهلية بدرجة تخرجهم عن حد التعقل والاعتدال فيعترضون على شارع الديانة الاسلامية بما لم يسلم منه نبي فى سابق القرون والاجيال .

ونوجّه انظار أهل الاستبصار الى الثورة الفرنساوية التى حدثت فى سنة ١٧٩٢ من السنين الميلادية . فان فلاسفة فرانسا بعد ما نشأت فيهم روح الحرية وقاموا لقلب السلطنة المطلقة الاستبدادية وأزمعوا على رفض العقائد المجهولة الوراثية رأوا أن بقاء الامم الاروبية على العقائد الراهنة فى الديانة المسيحية بعد تقدمهم فى المعارف

الطبيعية والرياضة والفلكية ضرب من المحال . فارادوا أن يشرعوا لهم ديناً تكون عقائده الاصولية وشرائعه الادبية أبسط وأقرب الى العقول والاذواق من تلك العقائد العتيقة التي يمجها الذوق السليم ويأباها العقل المستقيم . فشرعوا ديناً أساسه أن يعبدوا الله وحده وجعلوا الكنائس محلا للعبادات . وكان دستور ايمانهم بسيطاً حاويا لقضيتين كبيرتين (الاولى) الاعتراف بوجود الباري جل وعلا (والثانية الاذعان بخلود النفس أي بقاء الروح جوهراً مدركاً قائماً بنفسه بعد الموت . وشرائعهم الادبية أيضاً مؤسسة على أصلين كبيرين (الاول) محبة الله تعالى (والثاني محبة الخلق . وجعلوا مناسكهم مشتملة على صلوات وأذكار وتسبيحات رتبها لهم بعض فلاسفتهم . وقرروا لديانتهم هذه بعض شعائر بسيطة أيضاً كوضع أطباق من الاثمار والرياحين على المذابح واستعمال

الموسيقى بالآلات والاصوات فى المجامع . وبعد ما أكملوا وأتقنوا أركان هذه الديانة وأسسوها وشادوها بزعمهم على أساس منبن عين وزير الامور الداخلية جماعة من كبار الكتاب والخطباء وأرسلهم الى جميع بلاد فرنسا ليدعوا الناس الى قبول هذه الديانة الجديدة . فجدوا كل الجد فى ادخال ديانتهم فى كل مدن فرنسا وانتشرت مقاصدهم الى بلاد أخرى . قال نوفل بن نعمة الله بن جرجس نوفل الطرابلسى فى كتاب زبدة الصحائف فى سياحة المعارف بعد نقل هذه الحادثة (وقد اتبعت هذه الديانة بعض انفار فى باريس وغيرها ولكن لم يلتفت اليهم ثم بعد برهة يسيرة انقرضوا وطفى خبرهم)

فاذا كانت الفصاحة والبلاغة ورصف الكلمات وتسجيع العبارات تؤثر على عقول البشر بدرجة تذعن للديانة الباطلة وترضخ وتخضع للشريعة المختلقة فهلا أثرت بلاغة هؤلاء الفطاحل الافاضل

وفصاحتهم فى نشر دينهم الذى شرعوه بسامي عقولهم وقوة فلسفتهم وكان فيهم من كبار الكتاب وائمة البيان من يضرب الامثال بسحر الفاظهم وقوة أقلامهم وطلاقة ألسنتهم وحلاوة عباراتهم من اضراب (ولتير) واقران (جان جاك روسو) . وقد استعملوا العقل والتدبير والعلم والفضل والفصاحة والبلاغة واستخدموا القوة والسلطة والثروة والموسيقى بأجمعها لنشر الديانة التى شرعها واخترعها بزعمهم اسمى عقول بنى الانسان من النوابغ الفحول وكبار الفلاسفة الذين قلّما يجود الزمان بمثلهم . وقد أطاعهم جم غفير من قواد الجيش وزعماء الامة حيث نجحوا بهم تمام النجاح فى تبديل السلطة الاستبدادية بالسلطنة الدستوريه

ولكن الله تعالى أظهر عجزهم وأضل سعيهم وخيب آمالهم وبدد جمعهم فى أمر الديانة التى قدر تشريعها وانقاءها خاصة لمشيئته ومنوطة باذنه

وارادته لا بسائر الوسائل والاسباب . فكم أظهر الله تعالى ضعف مدارك البشر وضعة أفهامهم وسخافة عقولهم وخفة أحلامهم فيما زعموا أن تشريع الاديان من نتائج العقول البشرية ونشرها واعلاؤها ممكن بالوسائل الملكية . وكم أبطل غرورهم وأوهن قوتهم وقصم ظهورهم واستأصل شأفتهم وأحل بهم بأسه ومثلاته وأنزل بساحتهم نقمه وسطواته بما أرادوا أن يشرعوا ديناً بغير اذنه وحاولوا أن ينشئوا شريعة بلا سابقة من ارادته فان فى قصص أرغون خان المغولى وسعد الدولة اليهودى فى ايران وعلاء الدين الخلجي فى هندوستان وفلاسفة فرنسا فى أوروبا عبرة لاولى الالباب وذكرى وموعظة لاهل الكتاب .

وقد قلنا آنفاً انه اذا فتحت أبواب هذه الشكوك ليدخل الانسان منها فى سبيل الشك فى جميع الانبياء ولينتهى الامر الى هدم كل الاديان .

وسببه واضح عند من له المام بالبراهين العقليـة والقياسات المنطقية وذلك لان الاحكام العقليةفى القضايا كلية لاتقبل التخصيص. ويطرد الحكم العقلي فى جميع جزئياته وينطبق الـكلى على افراده طبعاً ويلتفت العقل الى هذا الاطراد فطرة . ولا يمكن أن تحول العوارض الخارجية كالحب والبغض والميل الى العصبية الملية أو الجنسية وأمثالها حين النظر دون هذا الالتفات الطبيعى الفطرى . لأنها عوارض خارجة عن ذات القضـية فيلتفت العقل اليه عند عدمها وبعد زوالها بحكم النظر عندوجودها . فاذا طرأ الشك فى قضية اثبات حقيـة دين الاسلام بحكم ان شارع هذا الدين ربما طبع افكاره على عقول القوم بذلاقة لسانه وبلاغة بيـانه وجوز العـقل امكان نشر الاديان بمجرد ذلاقة اللسان وسحر البيان فيطرد هذا الشك عقلا فى ديانةمن سبقه من شارعي الشرائع ومؤسسى الاديان بأنه

أيضاً ربما استخدم هذه القوة أوغيرها من القوى والوسائل لبث آرائه وطبع افكاره على القلوب الساذجة والعقول البسيطة من صيادى الاسماك ورعاة الاغنام . ويتقوى هذا الشك كلما يتقادم عهد الشارع اذ تساعده حينئذ ظلمة التواريخ القديمة التى لاينفذ شعاع النظر الثاقب طبقات ظلماتها لبعدعهدها واندراس مهدها وكثافة طبقاتها وتراكم شبهاتها . ولذلك عز وصعب عليهم أثبات وجود شارعى بعض الاديان العتيقة من حيث التاريخ فكيف الطريقة التى اتخذوها وسيلة لنشر أديانهم وبسط آرائهم . ولعمر الحق لوجاز لاحد أن يشك فى الكتاب الذى هو أبعد الاشياء عن السحر وفى الكلام الذى هو أشرف مزايا الانسان بشبهة انه ربما سحر المتكلم الباب الناس به فكم بالأحرى يجوز له أن يشك فى العجائب التى انتحلوها لانبيائهم وهي من جنس السحر

المزعوم وبينهما مماثلة ظاهرة ومشابهة واضحة .
أيظن الفاضل البريطانى أن فلاسفة مصر الذين
حملوا معجزات موسى على السحر والشعوذة
كانوا أقل نباهة وأقصر نظراً منه ومن أمثاله .
وهم الذين تشدّ الرحال فى كل سنة من أوربا وامريكا
لمشاهدة أعمالهم الهائلة التى تشهد بسعة معارفهم
وسموّ افكارهم . وتحمل الاهوال وتصرف
الاموال لزيارة آثارهم المدهشة التى تنطق بعلوّ
مداركهم ودقة انظارهم .

والاذعان بالسحر بالمعنى الذى تزعمه العامة
انما هو من بقايا ظلمات أوهام العصور المظلمة
الغابرة التى مزّقت ستائرها انوار طلوع شمس
العلم وازاح كثافة تراكمها بزوغ نير الحق. ومعنى السحر
حقيقة كما يدل عليه اخبار أئمة أهل البيت الواردة
فى كتاب بحار الانوار انما هو يساوق معنى الباطل .
اذ لابد لكل أمة أنكرت حقية رسالة رسول

ان تحمل آياته وبيناته على الاباطيل لا على الحقائق كالصابئة فى تكذيب موسى واليهود فى تكذيب عيسى والنصارى في تكذيب سيدنا الرسول عليهم السلام وهلمّ جرّا . وأئمة أهل البيت عليهم السلام بصرف النظر عما منحهم الله تعالى من رتبة الولاية المساوقة لنبوة أنبياء بنى اسرائيل كما يدلك عليه قول الرسول عليه السلام (علماء أمتى كانبياء بنى اسرائيل . أو أفضل من أنبياء بنى اسرائيل) انما هم من صميم العرب ونقاوة قبائلها وهم أعلم بموارد استعمال ألفاظ اللغة العربية ومعانيها الحقيقية من المتطفلين على موائدها والدخلاء فى نواديها بعد ما أخنى الدهر عليها وهدمت أدوار القرون معالمها ومباديها . فينتج مما تقدم ان فاتح أبواب أمثال تلك الشكوك يهدم بها أركان دينه الذي يعتقد صحته قبل ان تضرّ شكوكه بسائر الاديان . ولذلك تري انها اضرّت بالديانة الطاهرة المسيحية أكثر

مما أراد ان تضرّ بالشريعة المقدسة الاسلامية . وكثرت وزهت بين النصارى من الشيع المادّية والدروينيـة والاشتراكية والفوضوية جمعيات تنكر جميع الانبياء وتستهزء بكل الاديان . حتى ارتاعت عقلاء أوربا من نماء هذه الشيع وهالهم تقدمها السريع . ويدلك عليه ماقاله بعضهم للوزير الشهير غلادستون حينما رآه واجفاً فى نفسه خائفاً على عواقب قومه فسأله قائلا (اتخاف ان يهـدم العلم لشدة سيره أسس اللاهوت التى هى أس الهيأة الاجتماعية) وما قاله القس الشـهير لوازون الخطيب الفرنساوى حينما خطب في مرسح الخديوى بين جماعة أنافت افرادها على الفين من أفاضـل المسلمين والنصاري من كبار العلماء والأمراء وقناصل الدول والاذكياء من أهل مصر . فان ذاك الخطيب الطائر الصيت قال فى جملة خطابته (ولقد أدهشني فى مصر آثران لمعنى ليس فى قبور

الفراعنة ولا هيا كلهم . وهما الجامع الازهر وتمثال ابراهيم . هذان يشيران الى المستقبل وتلك تحدث عن الماضى . فالجامع الازهر بعشرة آلاف من طالبي العلم الوافدين عليه من أقاصى البلاد بين مراكش والصين خليق بان يموج بالعالم الاسلامى فاحفظوه احفظوه فان به تأييد كلمة الله التى أخذت الآن تتقلص عن آفاق أوربا . ويخشى اذا هي زالت بالمرّة ان نقع فى همجية أشدّ من همجية أحقر طبقات المتبربرين)

وكيف لا يأخذ الهلع والروع بقلوب امثال لوازون ومكلم غلادستون ممن يهمهم عواقب قومهم وهم يرون بأعينهم انه يخرج في كل سنة من مدارس اوروبا جيش عرمرم من الشبان متقلدين سيوف العلوم الطبيعية مدججين باسلحة العقائد الداروينية هاجمين على المعتقدات الدينية ساخرين بالشرائع الالهية مستهزئين بالصحف السماوية قادحين فى كل

سيادة روحانية . اذ لا يجدون مخرجاً من دائرة
علومهم ومعارفهم المكتسبة فان أصولها ومباديها
مبرهنة عندهم بالبراهين الحسية القطعية . ولا
يعرفون طريقا لتوفيقها وتطبيقها على ما جاء في
الكتب السماوية فانها رموز واشارات نبوية مختومة
والغاز واستعارات خفية غير معلومة . مثلا كيف
يمكن للفلكي الذى عرف بالبراهين حقيقة الكرات
الدائرة فى الفضاء التى هى غير متناهية من جميع
جهاتها بانها شموس ثابتة فى مراكزها وسيارات
دائرة حول تلك الشموس وأقمار سائرة حول تلك
السيارات وانه ليست هناك اجسام صلبة شفافة
غير قابلة للخرق والالتئام . ان يعترف بما جاء فى
التوراة والانجيل والقرآن من انفطار السماء
وتزعزعها وطيها وتبدلها وتجديد السماء والارض
واحتراق عناصرها وظلمة الشمس والقمر وانتثار
الكواكب على الارض وامكان الصعود الى السماء

والنزول منها وغير ذلك مما هو مباين للأصول المقررة فى المعارف الفلكية والطبيعية تمام المباينة . وهو لا يعرف من تلك الالفاظ النازلة فى الكتب السماوية الا ظواهرها ولا يخطر بباله انه ربما يكون لتلك الالفاظ معان هو جاهل بها وحقائق هو غافل عنها كما هو منصوص فى الكتب السماوية ومصرح به فى الكلمات النبوية . ثم يوجد فى الامم الاوروبية عموماً والامة الانكليزية خصوصاً كثير من أهل الفضل والبر والكرامة والديانة الا أن مقتضى سير العلوم الطبيعية وتقدمها السريع فى مقابل لا هوتهم المظلم الضعيف ينتهى بلا شك الى سقوط هذه الفئة الفاضلة وسيادة الفئة الطبيعية . فيقعد حينئذ على منصة الحكم والرياسة طائفة ممن يوصف بقساوة القلب والفظاظة بمقتضى زوال خشية الله عن قلوبهم التى لا تلين بذكر الله . فيجترحون كل اثم ويرتكبون كل

محظور باسم الحضارة والمدنيـة كما ارتكبه قبلهم
رؤساء الامم الشرقية . فتنتقض بهم الهيأة الاجتماعية
وينهدم أساس الديانة والانسانية الحقيقية كما أشار
اليه مكلم غلادستون ولمحت اليه خطابة لوازون .
فثبت مما بسطنا الـكلام فيه مبرهنا ان هؤلاء
المشككين ثلموا بشبهاتهم سياج الديانات والحضارة
والانسانية كلها ثلمة لا يسدها الاّ ماوعد اللّه به
في الـكتب المقدسـة من تجديد الخلق وتبديل
السموات واشراق الارض بنور ربها وازاحة ظلمات
الاوليات . وتلك وعود محتومة ظهرت طلائعها
وبدت علائمها وتلعت نهارها وحانت أوانها لو كانت
ثمة قلوب تدرك مفاهيمها وتفهم معانيها . فنختم
جواب الفاضل المنتقد بتلاوة الذكر الحكيم حيث
قال العزيز العليم . (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا
أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الأَرْضِ فَمَا

أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ) . هنا نضع القلم ونطوي الكتاب آملين من الله تعالى ان يلهمنا ماهو خير لنا ولأخوانا فى المبدإ والمآب وقدتم تميقه بقلم مؤلفه الفقير الى الله الكبير أبى الفضل الجرفادقانى الايرانى فى غرة ربيع الثانى سنة ١٣١٦ من السنين الهجرية

فى القاهرة المعزية

* *
*

وقد كتب الأستاذ العلامة هذه المقالة فى تفسير قوله تعالى (ثم ان علينا بيانه) حسب طلبنا من حضرته حفظه الله تعالى

﴿ وهاهي بعينها ﴾

لايخفى على أولى البصائر ان الله تعالى صرح فى مواضع متعددة من القرآن ان لآيانه تأويلات لايعلمها الا الله تعالى كما يدلك عليه قوله تعالى وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ الله وقوله جل وعلا بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وبيان ذلك انه لما نزل الكتاب المجيد وفيه أخبار وأنباء عن الحوادث التى ستقع فى العالم ويراها ويشاهدها جميع الامم مما جاء قبله فى التوراة والانجيل وتنبأ به أنبياء بنى اسرائيل من قبيل تكوير الشمس وذهاب نورها وظلمة القمر وانتثار الكواكب وانفطار السموات وتبديل السموات

والارض وامتلاء أقطار السماء بالدخان وتشققها بالغمام وتزلزل الارض ونسف الجبال واجتماع الشمس والقمر وغيرها من الآيات العظيمة التي تأباها العقول ويصعب احتمال تحققها والاذعان بها على النفوس . بل تعد وقوعها من المستحيلات والممتنعات كما هو مقرر عندهم في الطبيعيات والفلكيات . وان العرب الصابئة الوثنية ممن كانوا ينكرون جميع الانبياء الذين ظهروا من ذرية ابراهيم عليه السلام من قبيل موسى وعيسى وسيدنا الرسول صلى الله عليهم أجمعين كانوا يتتبعون تلك الآيات ويناقشون فيها ويجادلون الصحابة رضي الله عنهم في امكان تحققها ايفتنوا المؤمنين بها وكانوا يقولون ويصرحون بأن محمداً يغرر بقومه ويستهوى أصحابه بشبهه ويعدهم بالممتنعات ويمنيهم ويقنعهم بالمستحيلات فنزلت الآيات المذكورة مشعرة بأن القوم انما كذّبوا آيات القرآن الكريم

بسبب عدم احاطتهم بمعانيها وجهلهم بمقاصـدها والحال انه ما نزلت بعـد معانى تلك الآيات وما أتاهم تأويل تلك العبارات تنبيهاً لهم ان لها معـان سامية ومفاهيم معقولة وتأويلات مقصودة يظهرها الله تعالى لهم فى يوم مخصوص ويبينها ويكشف عنها بعد انقضاء الاجـل المسمى . كما يدلك قوله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ الى آخر الآية

ومن المعلوم انه ليس المراد من تأويل آيات القرآن معانيها الظاهرية ومفاهيمها اللغوية ممـا يفهمه ويدركه كل من يعرف اللغة العربية والا لم يبق ثم معنى لقوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله وقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه . بل المراد من التأويل هو المعانى الخفية التى أطلق عليها الالفاظ على سبيل الاستعارة والتشبيه والكناية من أقسام المجاز . ولولا قصور الناس فى الاحقاب الماضية والايام الحالية عن فهم

تلك المعانى الدقيقة وادراك تلك المفاهيم السامية لما أخفاها الانبياء عليهم السلام تحت ستائر الاستعارات ولما رمزوا عنها بخفى الاشارات والتعبيرات كما جاء فى الاصحاح الثالث عشر من سفر متى (وكان يسوع المسيح يكلمهم بامثال لكي يتم ماقيل بالنبي القائل سأفتح فمي بالامثال وأنطق بمكنونات منذ تأسيس العالم) وكما جاء فى الفصل السادس عشر من انجيل يوحنا أن عيسى عليه السلام قال لتلامذته (ان لى اموراً كثيرة أيضاً لاقول لكم ولكن لاتستطيعون أن تحتملوها الآن وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق) وكما جاء فى الحديث ان النبي عليه السلام قال بعثنا معاشر الانبياء نخاطب الناس على قدر عقولهم وما جاء فى البخارى عن عليّ عليه السلام حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله .

ولما كان من المقرر ان العالم مسير الى نقطة الكمال

والأرواح والافئدة راقية لامحالة الى رتبة البلوغ والاعتدال ليبلغوا الى درجة فهم كلمات الانبياء كما يقتضيه ناموس التقدم والارتقاء فقد قرر الله تعالى تنزيل تلك الآيات على السنة الانبياء وبيان معانيها وكشف الستر عن مقاصدها الى روح الله حينما ينزل من السماء ليتقوي أفئدة أهل الايمان بالتغذى من ظواهر الآيات الكريمة وتسير الامة فى أنوار الشرائع القويمة ليتمكن الناس فى أثنائها من طيّ تلك المسافات البعيدة وقطع تلك البرازخ الممتدّة فى الأجل المسمى والمدّة المعلومة (قال الشيخ السهروردى قدّس الله روحه فى آخر كتاب الهياكل) يجب على المستبصر ان يعتقد صحة النبوات وانّ أمثالهم تشير الى الحقائق كما ورد فى المصحف (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إلاَّ العَالِمُون) وكما أنذر بعض النبوات (اني أريد أن أفتح فمي بالأمثال) فالتنزيل موكول الى الانبياء والتأويل

والبيان موكول الى المظهر الاعظمي الانوري الأريحي الفارقليط كما أنذر المسيح حيث قال (انى ذاهب الى أبى وأبيكم ليبعث لكم الفارقليط الذى ينبئكم بالتأويل) وقال (ان الفارقليط الذى يرسله أبي باسمي يعلمكم كل شيء) وقد أشير اليه فى المصحف (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) وثم للتراخي. ولا شك ان أنوار الملكوت نازلة لاغاثة الملهوفين. وان شعاع القدس ينبسط. وان طريق الحق ينفتح. كما أخبرت الحفظة ذات البريق فى ليلة هبت الهوجاء كما قال تعالى (هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) انتهى. وبماذكر يعلم ان جميع الانبياء عليهم السلام من آدم الى الخاتم جاؤا بتنزيل الآيات المذكورة واثبات البشارات المأثورة من غير تعرض لبيان معانيها لما قلنا من ضعف قوى الخلق عن تحمل مقاصدها وقصورهم عن ادراك مراميها. وانما بعثوا عليهم السلام لسوق

الخلق الى النقطة المقصودة واكتفوا منهم بالايمان الاجمالى حتى يبلغ الكتاب أجله وينتهى سير الافئدة الى رتبة البلوغ فيظهر روح الله الموعود ويكشف لهم الحقائق المكنونة فى اليوم المشهود . وقد علم أولو النهي ان أصعب الامور على العالم البالغ تفهيم القاصرين عن الادراك اذ لو كشفت الحقائق للقاصر عن ادراكها لينكرها لعجزه عن الفهم وقصوره عن الادراك كما يصرح به حديث البخارى الذى مر آنفاً (حدثوا الناس بما عندهم أتحبون أن يكذب الله ورسوله) فينتهي حال الناس الى الكفر بعد الايمان والارتداد بعد الاذعان وهذا ضد المقصد الذى بعث له الانبياء ونقيض الخطة الى رسمت لمشي الاولياء كما يدلك عليه قوله تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْئَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) اذ كانوا يسألون النبي عليه السلام عن تلك الحقائق الغامضة والمعانى الدقيقة فيصعب

عليه بيانها لهم لما كررناه عليك من قصورهم عن
ادراكها وضعفهم عن تحملها فنهاهم عن السؤال
منها والخوض فيها . فان سير الانسان فى نماء ادراكه
وترقياته الروحانية انما هو كسيره فى نماء بدنه
وترقياته الجسمانية . فكما ان الانسان حال طفوليته
ونماء جسمه ووصوله الى كمال بدنه يحتاج الى شرب
اللبن وتضره أكل الاغذية الغليظة بل ربما يهلكه
تناول الاطعمة المطبوخة كذلك فى نماء عقله
وبلوغ ادراكه يحتاج فى باديء الامر الى الظواهر
البسيطة ويهلكه الخوض فى المعانى الدقيقة . ومن
ذلك يفهم معنى الصعوبة التى كانت تعرض على
النبي عليه السلام حين نزول القرآن والشدة التى
كان يعالجها حين تلاوة الآيات . فانهم كانوا
يسألونه عن حقائقها ومعانيها فكان يحرك شفتيه
ويعالج كيفية البيان لصعوبة تفهيم القاصر وكذلك
صعوبة ترك البيان لئلاّ يحمل على العجز فنزلت

الآية الكريمة (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) أى ببيان معانيه الخفية وتأويلاته الغامضة (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) كما قدر الله تعالى جمعه بيد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) أى حينما تبلغ الامة بسبب السير فى الشريعة المقدسة الاسلامية الى الدرجة العليا من الكمال وتصير الافئدة قادرة على ادراك ماهو مكنون فى كتب الله العزيز المتعال . فيتبلج صبح الوصال وينزل الروح فى غمام الجلال وتنقشع غيوم الضلال ويتجلى عليهم ربهم فى أبهى حلل الجمال . فيبين لهم تأويل الكتاب ويكشف لهم لباب الخطاب ويتم نعمة الله على عباده من كل الابواب . ومما بيناه يظهر معنى الحديث الذى رووه عن ابن عباس رضي الله عنهما (أن النبي عليه السلام كان يعالج من التنزيل شدة وكان يحرك شفتيه) ثم قال (وأنا أحركهما كما كان رسول الله يحركهما) اذ كل عالم بالغ تصادفه هذه

الشدة والصعوبة ويتلجلج فى الكلام ويعالج صعوبة الافهام ويحرك شفتيه حين البيان اذا سأله القاصر عن ادراك المعانى الغامضة واستفهمه غير البالغ الى رتبة فهم المسائل العالية • ولا يعقل مصادفة الشدة من صلصلة الوحى كما فسّره بعضهم اذ ليس للوحي صلصلة ولا للصلصلة صعوبة • فان الوحى ليس الا نزول الآيات فى صدور الانبياء والمرسلين كما يدلك عليه قوله جل وعلا (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُون)وقوله جل ذكره وعز اسمه نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ فهل ظن أصحاب تلك التفاسير التى هى أشبه شيء بافكار الصبيان أن الوحى الالهى الذى عبر عنه أئمة أهل السنة والجماعة بالكلام القديم هو سلاسل

واجراس ليلزمه رنه وصلصلة اعتماداً على بعض
الاخبار الضعيفة أو الافكار السخيفة . ساء ماظنوا
وبئس ما مثلوا به آيات الله وأهانوا واستهانوا
بكلمات الله . فكم وكم من المصائب ما قد جرته
تلك التفاسير السخيفة على الكتب السماوية وفتحت
أبواب الردّ والايراد والاعتراض والانتقاد على
الكلمات الالهية . راجع كتاب (مقالة فى الاسلام)
الذى صنفه جرجيس صال الانكليسي والتذييل
الذي ذيله به هاشم الشامى وامعن النظر فيه لترى
أن جل ما انتقد به هذان الفاضلان على القرآن
انما هو راجع في الحقيقة الى تفاسير المفسرين وشروح
الشارحين . مما سيوضح سخافته السير الحثيث
الذى يرى فى تقدم المدارك والعقول واتساع نطاق
المعارف والعلوم . وكم من المصائب ماقد جرّته تلك
الانتقادات والمناقشات على الامم والديانات ففتحت
عليهم أبواب الضغائن والعداوات وانتهت الى

الحروب والغارات وأريقت فيها من الدماء مالا
تفى بوصفه أمثال هذه الرسائل والمقالات
وهنا نختم الكلام والسلام على صانعى
السلام وفاتحي أبواب الالفة
والمحبة بين الانام

* * *

الرسالة الاسكندرانية

كتبها استاذنا المحقق أبو الفضائل الايرانى
جواباً عن سؤال حضرة حسين افندى
روحى سأله عن موارد بشارات ظهور
سيدنا الرسول عليه السلام فى
الكتب المقدسة حينما وقع بينه
وبين أحد القسوس مناظرة
فى هذه المسئلة

هو العزيز

حبيبي قد وصلني جوابك وسرّني كتابك
وأطربني خطابك بما أدركت من خلال سطوره
تلألؤ أنوار العلم والعرفان وشمت من غمام خطوطه
تألق بروق الحجة والبرهان . فحمدت الله ربي وربك
بما أسبغ عليك من نعمه الروحانية على عنفوان

شبابك وصغر سنك وأجزل عليك من آلآئه
الرحمانية فى مقتبل ايامك وغضاضة غصنك . وأسأله
تعالى ان يطيل بقاك ويؤيدك على نصرة أمر
مولاك ويلهمك ماهو خير لك فى آخرتك وأولاك .
وأما ماسألت من المواضيع التى يمكن ان يستدل
بها على ظهور سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم
من التوراة والانجيل . فاعلم ياحبيبي ان من أمعن
النظر فى الكتب السماويه مطلقاً يرى انه مامن
كتاب الا وفيه قسمان من التعليمات (القسم
الاول) الحدود والاحكام التي تحتاج الأمة اليها
مدة بقائها ويرتبط بها نجاحها ويتوقف على اقامتها
فلاحها والقسم الثانى) البشارات الواردة
فى مجئ يوم الله ونزول روح الله وقيام مظهر
أمر الله وهذا اليوم هو اليوم العظيم الرهيب
المهيب الذى عبر عنه في الكتب السماوية بتعبيرات
شتى وسمي باسماء عليا من قبيل يوم الرب ويوم

الملكوت ويوم الحسرة ويوم التلاق والقيامة
والساعة وأمثالها . وقد ذكر الانبياء عليهم السلام
لمجيء هذا اليوم اشراطاً وعلامات وشواهد
وأمارات ودلائل ومقدمات مما هو مذكور
ومدون فى كتب الاولين ومنصوص ومصرح
في كلمات الاقدمين . ثم اعلم ياحبيبي انه وان كان
يستفادمن بعض الكتب أن الانبياء عليهم السلام
من لدن زمان عتيق مجهول الابتداء كانوا يبشرون
الناس بمجيء أمر الله وطلوع فجر يوم الله وزوال
ظلمات البدع والاختلافات والحروب والاحقاد
بين عباد الله الا أنه بسبب ظلمة التواريخ القديمة
وانقطاع أخبار الملل العتيقة وصعوبة ابقاء الآثار
العلمية بسبب فقدان صنعة الطبع والورق وأمثالهما
فى الازمان الغابرة وانعدام التعاون والتناصر
والتعارف بين القبائل الدائرة لا يمكن الاطلاع
الكافى عما جاء فى أخبار الانبياء قبل موسى عليه

السلام اذ لم يبق منهم كتاب ولم يوجد لهم آثار
ليستفيد المستخبر من عباراتهم ويطلع على مقتضى
بشاراتهم فلا يمكن والحالة هذه الا أن نعتبر التوراة
أول كتاب سماوى يستقى من موارده ويلتقط
المقصود من شوارده . فلنبتدِ أولاً بذكر آيات
التوراة الجليل ونتبعها بعبارات رسائل أنبياء بنى
اسرائيل ونختمها بالبشارات الواردة فى الانجيل
ونتوكل على الله انه هو نعم المولى ونعم الوكيل . قال
الله تبارك وتعالى كما جاء في الاية الثانية من
الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية من اسفار
التوراة (جاء الرب من سينا وأشرق لهم من سعير
وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس
وعن يمينه قبس الشريعة) فهذه الآية المباركة تدل
دلالة واضحة أن بين يدي الساعة وقدام مجىء
القيامة لا بد من أن يتجلى الله على الخلق أربع مرات
ويظهر أربع ظهورات حتى يكمل سير بنى اسرائيل

وينتهي أمرهم الى الرب الجليل فيجمع شتيتهم من أقصى البلاد ويدفع عنهم أذى كل العباد ويسكنهم فى الاراضي المقدسة ويرجع اليهم مواريثهم القديمة. فظهر أولا بمقتضى هذه الآيه الكريمة سيدنا موسى عليه السلام فتجلى الله عليهم بظهوره من جبل سيناء. ثم ظهر ثانياً سيدنا عيسى عليه السلام فتجلى عليهم بظهوره من جبل سعير. ثم ظهر ثالثاً سيدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بظهوره من جبل فاران . فدارت الادوار وتتابع الليل والنهار حتى ظهر الرب المختار وتم الظهور الرابع بامر الملك العزيز الجبار . ولا عبرة بما يتكلف بعضهم فى رد دلالة هذه الآية من أن الفاظ أشرق وتلألأ وأتى جاءت بصيغة الماضي ولو كانت الآية بشارات للظهورات الاربع لجاءت بصيغة المستقبل لان بشارات الكتب المقدسة حتى القرآن الكريم كثيراً جاءت بصيغة الماضى

دلالة على وجوب تحقق مفهومها وقطعية منصوصها كقوله تعالى (وَجاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) فانظر فى الآية ١٤ من رسالة يهوذا القديس كيف جاءت صيغة الماضى بمعنى المستقبل حيث قال (وتنبأ عن هؤلاء أيضاً أخنوخ السابع من آدم قائلا هوذا قد جاء الرب فى ربوات قديسيه) والحال أن المسافة بين أخنوخ وهو ادريس النبي على ما قرره المؤرخون وبين عيسى عليه السلام أكثر مما بين موسى وبين سيدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والآية ١٨ من الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية حيث قال تعالى (أقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) تدل على ظهور سيدنا الرسول أكثر مما يحاولون أن تكون بشارة ظهور سيدنا عيسى عليهما السلام لان قريشاً وهم بنو اسماعيل اخوان العبرانيين فى النسب وهم بنو

اسرائيل فان اسماعيل واسحاق ولدا ابراهيم
والعرب المستعربة ظهرت من ذرية اسماعيل وبنو
اسرائيل ظهروا من سلالة اسحاق فالعرب المستعربة
اذا اخوان بني اسرائيل في النسب. وأما انتساب
عيسى عليه السلام الى ابراهيم فلم نجد بعدُ دليلا
يعتمد عليه فان اليهود وهم أهل البيت أنكروا
انتساب عيسى عليه السلام اليهم وصرحوا بانه عليه
السلام شومروني النسب كما يدلك عليه الفقرة ٤٨ من
الاصحاح الثامن من انجيل يوحنا حيث جاء فيه
(فاجاب اليهود وقالوا ألسنا نقول حسنا انك سامريّ
وبك شيطان) وهذه الفقرة تدل دلالة صريحة على
ان بني اسرائيل في ذلك الزمان الذي كانت شعوبهم
فيه محفوظة وأنسابهم معلومة لم يعتبروه من أمتهم
ولم يتخذوه فرعاً من أرومتهم وهم أهل البيت. وقد
قيل في الامثال (أهل البيت أدرى بالذي فيه) ولا
اعتبار بما جاء في انجيل متى وانجيل لوقا من انتسابه

عليه السلام بداود لما بين سلسلتي النسب من
الاختلافات فان متى الحق نسبة عيسى الى داود
عليهما السلام من طرف سليمان ولوقا من طرف
ناثان أخى سليمان وهذا مما لا يعقل أبدا . هذا
سوى ما فى افراد السلسلتين من الاختلاف عدداً
واسماً ثم كثيراً ما حاولوا ان يصححوا هذا الغلط
بتأويلات وتفسيرات بعيدة الاّ انها مما يضحك
الانسان اكثر مما يسكت ويشكك الناقد اكثر
ما يقنع فالناقد الطالب المجتهد ماذا يهمّه من تلك
المحاولات الاّ ان يشك فيها ويصرف النظر عنها
والنصارى لا يعتبرون سيدنا عيسى عليه السلام
نبياً بل يعتبرونه ابن اللّه الوحيد بل الاقنوم الثالث
من ذات اللّه تعالى فاذا لا تنطبق عليه هذه البشارة
وفى سنة ١٣٠٥ حينما كنت نزيلاً فى مدينة همدان
سمعت من أحد علماء بنى اسرائيل من سبط
لاوى ممن آووا الى الركن الشديد وتمسكوا بحبل

الله المجيد انه قال ان هذه البشارة لا تنطبق الاّ
على ظهور الرسول عليه السلام حيث ان المشابهة
تامة بين الديانتين الاسلامية والموسوية من حيث
التشريع والقوانين والمحتد والمنشأ والشارع والمؤسس
فهما اذاً صنوان من دوحة واحدة وفرعان منشعبان
من أصل واحد ثم تلا عبارات الاصحاح الثالث
والستين من سفر اشعيا النبي عليه السلام حيث
قال (من ذا الآتى من ادوم بثياب حمر من بُصْرَة
هذا البهىّ بملابسه المتعظم بكثرة قوته) فلما قرأ
الى آخر الاصحاح قال ان هذه الآيات منذرة بغاية
الصراحة على المصائب التى حلت ببني اسرائيل فى
ظهور الاسلام حيث أنذرهم الله تعالى بمجيء رجل
الهىّ سماوى من طرف ادوم وهى الاراضى
الواقعة بين فلسطين وبلاد العرب وبُصْرَه مدينة
من مدن تلك البلاد ويقال لها بصرى الحرير
والنبي العربى عليه السلام جاء الى بر الشام مرتين

قبل ظهوره من تلك الجهة مع عمه أبي طالب وفى
بر الشام قال بحيراء الراهب لابى طالب (ان لابن
اخيك هذا شأناً ويوماً عظيماً فاحفظه من اعدائه)
وخلفاء الاسلام من تلك الجهة غلبوا على بلاد الشام
وفرقوا بنى اسرائيل فلا تنطبق بشارات هذا
الاصحاح الا على الرسول عليه السلام حيث ان
عيسى عليه السلام ماجاء من ادوم وما دخل مدينة
بصرة ولا تنطبق على ظهوره هذه البشارات انتهى
وحقيقة من ينظر فى الآية الثامنة من هذا الاصحاح
حيث قال (وقد قال حقاً انهم شعبي بنون لايخونون
فصار لهم مخلصاً فى كل ضيقهم تضايق وملاك
حضرته خلصهم بمحبته ورأفته هو فكهم ورفعهم
كل الايام القديمة ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح
قدسه فتحول لهم عدواً وهو حاربهم) يرى بغاية
الصراحة فيه الاخبار عن الادوار الثلاثة التي دارت
على بنى اسرائيل فى ثلاث ظهورات حيث قال ان

الله خلص بني اسرائيل ورفعهم كل الايام القديمة أي بظهور موسى الا انهم أحزنوا روح قدسه اى في ظهور عيسى عليه السلام فانه روح الله الحق واليهود أحزنوه وانكروه وتجرؤا على شتمه وسبه وافتوا على قتله فتحول روح الله عدوا لهم وحاربهم أى فى ظهور محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث انه عليه السلام حاربهم وفى غزوة بني قريظة قتل منهم فى يوم واحد تسعمائة رجل وخلفاؤه عليه السلام طردوهم من بر الشام وابطلوا ذبائحهم ومنعوهم عن اداء مناسكهم كما تشهد به التواريخ . والى هنا نكتفى فى ذكر بشارات ظهوره عليه السلام من التوراة لضيق المجال واختلال الاحوال ونطلب من الله التأييد على تكميل الاستدلال فى فرصة أخرى انه هو ولينا فى المبدء والمآل

وأما بشارات ظهوره عليه السلام فى الانجيل المقدس فاعلم يا حبيبي أن الانسان لا يبلغ الى درجة

النبوة والرسالة أو الشارعية والربوبيـة الاّ بتجلى
القوة القدسية السماوية فى هيكل بدنه ونزول الروح
المقدس الالهي على عرش قلبه فاذا تجلّت هذه
القوة القدسية فى قلب انسان ونزلت هذه الموهبة
الملكوتية فى فؤآد رجل وهبّت هذه النفحة الالهية
على نفس ونزلت هذه القدرة السماوية على بشر
فهو اذاً يدعى نبيّ الله ورسول الله وكلمة الله وهو
المنظر الاعلى والجنة العليا والسدرة المنتهى والغاية
القصوى (أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)
الاّ أن هـذه الرتبة وهبية لا كسبية وتأييـدية
لاتحصيلية وسماوية لا أرضـية وحقيقة واحـدة
لا تتعدد بتعدد المظاهر ونور واحـد لا يتكثر
بكثرة التجلى والمجالى واشراق واحـد لا يتفاوت
بتفاوت المشارق والمغارب . فاذا تجلت فى سيناء
فهى هي هـذه القوة الالهية . واذا تلألأت من
سعير فهى هي هذه الدرة السماوية . واذا أشرقت

من فاران فهي هي هـذه النجمة الربانيـة . واذا
هبت من فارس فهي هي هذه النفحة الروحانية.
واذا بزغت ولمعت وأضاءت والاحت من طهران
فهي هي هـذه الشمس الحقيقية الواحـدة التي لم
تزل كانت مشرقة في أزل الآزال ولا تزال تكون
ساطعة الانوار فيما يأتي من القرون والاجيال .
ولعمرك يا حبيبي لا معنى للتوحيد الا معرفة هذه
النكتة الدقيقة ولا يخرج الانسان من ظلمات
الشرك الا بالوصول الى هذه الغاية الشريفة والى
هذه الحقيقة يشير قول موسى عليـه السلام (أنا
الذي أرفع يدي الى السماء وأقول أنا الحي الى
الابد) واليها يشـير كلام عيسى عليه السلام (أنا
الالف والياء البـداية والنهاية) واليها يشير أيضاً
ما قاله الرسول (أول ماخلق الله نوري) وخطابة
على عليـه السلام (ألا ونحن النذر الاولى ونذر
الآخرة والاولى ونذر كل أوان وزمان بنا هلك

من هلك ونجا من نجا) فاذا عرفت ذلك فاعلم
أن ما أخبر عيسى عليه السلام برجوعه ونزوله ثانياً
كما هو وارد فى مواضع من الانجيل انما تحقق
أولا بظهور سيدنا الرسول عليه السلام باعتبار
الوحدة الذاتية التى ذكرناها آنفاً فظهور رسول
الله هو رجوع روح الله حقيقة. كما ان جميع الآثار
والاعمال والقوة والقدرة التى ظهرت من عيسى
عليه السلام كذلك ظهرت من محمد صلى الله عليه
وآله وسلم ولا اعتبار بتعدد المظهر والجسد اذ ليس
للاجساد الا حكم الآلية لظهور آثار الارواح
. والمناط فى تحقق الهوية انما هو الروح لا الجسد
ومثاله وارد فى الانجيل حيث حكم عيسى عليه
السلام ليوحنا المعمدان أى يحيي عليه السلام بأنه
هو ايليا النبي يعنى الياس مع ان ايليا صعد الى السماء
باتفاق اليهود والنصارى قبل يوحنا بزهاء تسعمائة
سنة تقريبا . فاذا جاز لعيسى ان يحكم بان يوحنا هو

ايليا على تباينهما اسما وزماناً ونسباً وصورةً وجسماً
بسبب اتحادهما روحا فلم لايجوز على المحقق العالم ان
يحكم بان المراد من نزول ابن الانسان هو ظهور
النبي عليه السلام بسبب عين هذا الاتحاد الروحانى
والوفاق الذاتى . على ان يوحنا نفسه انكر انه هو
ايليا كما يستفاد صريحاً من الفقرة ١٩ الى الفقرة
٢٨ من الاصحاح الأول من انجيل يوحنا القديس .
ولكن الرسول عليه السلام ماانكر انه هو حقيقة
الانبياء والرسل الماضين بل كما يستفاد من الآية
الكريمة (وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ)
وقوله تعالى { لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ } صرح
بانه هو حقيقة جميع الانبياء والمرسلين وظهوره
رجعة جميع السابقين الاولين (ان فى ذلك لآيات
للمتوسمين) ولعمرك ياحبيبي انى لا أتعجب من
أهل الشرق اذا توقفوا دون امثال هذه الشبهات
وعجزوا عن ادراك هذه النكات وجهلوا معني الآيات

لقصورهم فى الطبيعيات والفلكيات . ولكنى أتعجب
واندهش وأتحير من الذين يعتقدون انهم من
الفلاسفة الطبيعيين والعلماء الفلكيين والدكاترة
الراسخين والجهابذة البالغين ممن مسحوا الافلاك
شبراً شبراً ووزنوها جزأجزأ واكتشفوا أجزاء
العناصر الارضية وعلموا أسرارها الطبيعية كيف
اذعنوا والحالة هذه بالمستحيلات العقلية والممتنعات
القطعية وينتظرون مالا جرت عليه السنن الالهية
فى القرون الاولية . أين العقول الراجحة أين
القلوب الفاهمة أين الابصار الحديدة أين البصائر
السديدة أين الاحلام الرزينة أين الافهام الرصينة .
هل سفهت جميع الاحلام هل زلت كافة الاقدام
هل نسوا مثلات الله فى سابق القرون والأيام
هل تقهقرت النفوس بعد تقدم العالم فى سلم
الارتقاء الى مواقف شبهات الغابرين وسقطت
فى وهدة أوهام الماضين هل ينتظرون الا سنن

الذين خلوامن قبلهم قل فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِين

فاذا عرفت ان المراد بنزول ابن الانسان هو رجوع الحقيقة القدسية الواحدة بالذات من جميع الجهات وقدعرفت انه تم وكمل بظهور محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكن الله تعالى لما مضى فى سابق علمه ان المتأخرين مع دعاويهم الطائلة فى التقدم والارتقاءلابدّوانهم يسقطون فى وهدة شبهات المتقدمين ويتمسكون بحبال أوهام الاولين فأراد ان يسقط حججهم وأوهامهم لئلا تبقى على الله للناس حجة فأنزل الله فى كتاب الرؤيا بشارات ظهور الرسول عليه السلام وصرّح فى هذا السفر الكريم جميع حوادث ايامه وما يحدث فى أمته الى يوم القيام . فقد جاء فى الاصحاح الحادى عشر من هذا الكتاب مانصه (وسأعطى لشاهديّ فيتنبآن ألفاً ومائتين وستين يوما لابسين مسوحاً .

هذان هما الزيتونتان والمنارتان القائمتان امام رب
الارض . وان كان أحد يريد ان يؤذيهما تخرج
نار من فمهما وتأكل أعداءهما وان كان أحد يريد
ان يؤذيهما فهكذا لا بد أنه يقتل . هذان لهما
السلطان ان يغلقا السماء حتى لا تمطر مطراً فى أيام
شهادتهما ولهما سلطان على المياه ان يحولاها الى
دم وان يضربا الارض بكل ضربة كلما أرادا ومتى
تمما شهادتهما فالوحش الصاعد من الهاوية سيصنع
معهما حرباً ويغلبهما ويقتلهما وتكون جثتاهما على
شارع المدينة العظيمة التى تدعى روحيا سدوم
ومصر حيث صلب ربنا أيضاً . وينظر أناس
من الشعوب والقبائل والألسنة والأمم جثتيهما
ثلاثة أيام ونصف ولا يدعون توضعان فى قبور
ويشمت بهما الساكنون على الارض ويتهللون
ويرسلون هدايا بعضهم لبعض لان هذين الشاهدين
كانا قد عذبا الساكنين على الارض . ثم بعد الثلاثة

الايام والنصف دخل فيهما روح حيوة من الله فوقفا
على أرجلهما ووقع خوف عظيم على الذين كانوا
ينظرونهما . وسمعوا صوتاً عظيما من السماء قائلا لهما
اصعدا الى هنا فصعدا الى السماء في السحابة ونظرهما
أعداؤهما . وفى تلك الساعة حدثت زلزلة عظيمة
فسقط عشر المدينة وقتل بالزلزلة أسماء من الناس سبعة
آلاف وصار الباقون فى رعبة وأعطوا مجداً لاله السماء
الويل الثانى مضى وهو ذا الويل الثالث يأتى سريعاً .
ثم بوّق الملاك السابع فحدثت أصوات عظيمة فى
السماء قائلة قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه
فسيملك الى ابد الابدين والاربعة وعشرون
شيخاً الجالسون امام الله على عروشهم خروا على
وجوههم وسجدوا لله قائلين نشكرك أيها الرب القادر
على كل شيء الكائن والذى كان والذى يأتى
لانك أخذت قدرتك العظيمة وملكت وغضبت
الامم فاتى غضبك وزمان الاموات ليدانوا ولتعطي

الاجرة لعبيدك الانبياء والقديسين والخائفين اسمك الصغار والكبار وليهلك الذين كانوا يهلكون الارض وانفتح هيكل الله في السماء وظهر تابوت عهده في هيكله وحدثت بروق وأصوات ورعود وزلزلة وَبَرَدٌ عظيم) انتهى .

وعبارات هذا الاصحاح كما ترى يا حبيبي تصرح وتنادى بأن بعد يوحنا القديس الذى نزلت عليه تلك البشارات يقيم الله تعالى شاهدين(١)

---

(١) وانما فسر المصنف هذين الشاهدين على النبي عليه السلام وأمير المؤمنين وما فسره على سائر الصحابة لعدم انطباق عبارات الوحي عليهم حيث لم يقتل من ذريتهم أحد وما وقعت حوادث القتل والاسر والسبي وشماتة الناس الا في ذريت علي كرم الله وجهه وانما قيدنا هذه الحاشية لما وقع بيننا وبين أحد العلماء مناقشة في تفسير هذه البشارات في مجلس حضرة الفاضل مصطفى أفندى المكاوى المحامي في مدينة الفيوم

فرج الله زكي الكردستاني

سماويين أى رجلين الهيين يدعوان الناس الى
دين الله ويشهدان ويعترفان بحقية قيام عيسى
روح الله وأنت تعلم ان بعد صعود روح الله الى
سماء جوار الله وبعبارة أصرح من لدن نزول هذا
الوحى الى طلوع فجر يوم الله ما قام أحد بالنبوة
والولاية ليشهد بوحدانية الله تعالى وحقية أنبيائه
ورسله من آدم الى السيد المسيح الا سيدنا الرسول
عليه السلام وباب مدينة علمه على كرم الله وجهه .
فان هذين النورين النيرين والزيتونتين المباركتين
قاما ونادا بوحدانية الله تعالى وحقية مسيحه وآمن
بشهادتهما أمم عظيمة ممن كانوا لا يعترفون
بوحدانية الله ولا بحقية مسيحه عيسى روح الله
من عبدة النار والاوثان فآمنوا وأذعنوا وصدقوا
وأيقنوا وهكذا تم الوحى الالهي وصدقت رؤيا
يوحنا اللاهوتى . وبعد ما تمما شهادتهما وانتشر
نورهما وثبتت كلمتهما ظهر الوحش الهائل أى الملك

العضوض والخلافة الجائرة الاموية فحاربهما رؤساء
تلك العصبة القرشية وملوك تلك الخلافة الاموية
فأبو سفيان حارب نبياً ومعاوية حارب علياً وسم
الحسن ويزيد حارب حسيناً وهشام بن عبدالملك
حارب زيد بن عليّ بن الحسين . وهكذا كل فرد
من افراد تلك العترة الطاهرة النبوية والاسرة
المباركة العلوية . سم أو قتل بأمر خليفة من الخلافة
الجائرة الاموية . ومما هو ثابت مصرح فى بطون
الاوراق وصفحات التاريخ انه لما قتل الحسين بن
عليّ عليهما السلام بامر يزيد وأسروا أهل بيته
وحملوهم مكشوفى الوجوه والرؤس على الاقتاب
الى الشام وفيهم بنات رسول الله وافلاذ كبد فاطمة
وأنزلوهم بهذه الحالة فى مدينة دمشق خرج أهل
تلك المدينة المعبر عنها معنى بسدوم للتفرج على
بنات رسول الله وهنّ حاسرات باكيات على
أقتاب الجمال ورؤس الشهداء تقاد قدامهن على

الرماح والاخشاب واتخذوا يوم ورود أسرى أهل البيت عيداً وكانوا يتهللون ويضحكون ويشتمون ويلعنون لما فى قلوبهم من حروب بدر واحد وحنين وصفين وما أذنوا بدفن رؤس الشهداء بل كانوا يدورونها فى بلاد الشام ليفرح الناس بهذا الفتح المبين فى مدة ثلاث سنوات ونصف أيام خلافة يزيد[1] فخزنوها بعد مدة فى مدينة من بلاد الشام وبقيت هناك مخزونة الى أيام الخلفاء الفاطميين وفى أيامهم جاؤا بها الى مصر ودفنوها بأمرهم حيث يزورها الناس الى هذا اليوم . وكل

---

(١) انما فسر المصنف لفظ ثلاثة ايام ونصف على ثلاث سنوات ونصف لما جاء في التوراة ان اليوم في الكتب المقدسة عبارة عن سنة واحدة كما ان القرآن عبر عن كل يوم بالف سنة . ولذلك صار هذا أصلا متفقا عليه عند علماء اليهود والنصارى ويعبرون عنه باللغة العبرية (يوم لشانا) أي كل يوم سنة

فرج الله زكي الكردستاني

ما تجنيه الامة الاسلامية من الذل والهوان والانحطاط والخسران وغلبة الاعداء عليهم كما تراه اليوم انما هو نتيجة تلك الخلافة الجائرة والمظالم الغابرة كما يدلك قوله تعالى (وَماجَعَلْنَا الرُّؤْيا الَّتى أَرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الملعونة فى القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً) ولعمرك يا حبيبي ان شجرة سقيت بالدماء الطاهرة لا ينبت منها الا الاشواك الانحطاط والخسران ولا تثمر الا حنظل الذلة والهوان . قال العلامة الفيروزآبادى صاحب القاموس فى لغة الودق وما صح عن على ابن ابى طالب كرم الله وجهه إلاّ هذين البيتين

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى
فلا وربك ما بروا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم
بذات ودقين لا يعفو لها أثر

ثم قال والودق الداهية . وهي كما ترى تجسمت

بالدواهي الخارجية والداخلية أي الغفلة والتقاطع والخمول من الداخل والحذق والتأاب وتعصب الاعداء من الخارج

فلما مات يزيد ورجع عليّ بن الحسين عليهما السلام الى المدينة قامت الامامة بوجوده وفتحت أبواب الهداية ثانياً على أصحابه وكان الخلفاء الامويّون والعباسيّون يخافون دائماً من رؤساء هذه العترة ويراقبونهم ويترصدون لهم ويضيقون عليهم واحداً بعد واحد الى سنة مائتين وستين من الهجرة حينما انقطعت الامامة وخفيت سبل الهداية وصعدت الارواح الطاهرة الى السماء القصوى واستولت ظلمة الليلة الليلى وتتابعت القرون والادوار الى أن طلع النهار وأشرقت شمس الاسرار وظهرت مكنونات الآثار وسمعت نداء طلوع الشمس من جميع الاقطار فبعد ماغابت الشمس عن الانظار وتلى كتاب العهد على الاخيار ترى ياحبيبي غمام الشبهات

متراكمة ورعود النقض والنكص قاصفة وبرد
الشكوك والشبهات هاطلة وهكذا تمت البشارات
وكملت النبوات وظهرت الآيات البينات والامر
لله مالك الارضين والسماوات

ومما نحب أن نذكره لك على سبيل الحكاية والفكاهة
وان يكن منافياً للاختصار الذى بنيت عليه المقالة
هو ما جرى بيني وبين أحد القسوس من المناظرة
فى تفسير هذا السفر الجليل من أسفار الانجيل ٠
وهو أنه لما حللت رحل الرحلة فى سنة ١٣١٢ من
السنين الهجرية فى البلاد الشامية والقيت عصا
التسيار في جوار ٠ولى الابرار وقبلة الاحرار جعلنا
الله تعالى من المتمسكين بعروة ولائه ما دام الليل
والنهار قابلت يوما أبا نمرود أحد أفاضل قسوس
الطائفة الانجيلية فى بيت حبيبنا الجليل الدكتور
روفائيل وتغلغل بنا الكلام الى اثبات حقيّة ظهور
سيدنا الرسول عليه السلام فطلب منى اقامة البرهان

فى هذا المقام فقلت له أن الدليل العقلي والبرهان القطعي والحجة الواضحة والمعجزة الدامغة لاثبات حقية كل داع الهي انما هو القدرة الفائقة التى ظهرت منهم فى انفاذ كلمتهم واثبات ديانتهم وابقاء شريعتهم رغماً لاميال جميع الامم وغلبةً على قوى جميع أهل العالم . وهذه القوة التى لاتفوقها قوة ولا تضاهيها قدرة ولا تغلبها وان تغلبها شوكة وعصبية لمّا لم تكن مستمدة من القوى المحصورة المعلومة البشرية من قبيل القوة المستمدة من الملك والسلطنة الظاهرة الملكية أو العلوم والمعارف التحصيلية أو الغنى والثروة المالية أو الرباط والعصبية القومية أو العزة والرياسة الدنيوية فيثبت أنها مستمدة من القوة الغيبية الالهية ومنبعثة من القدرة الملكوتية السماوية وتنتهى عند كل باحث محقق حتى الفلاسفة ومتتبعى العلل والفواعل الى علة العلل ومسبب الاسباب وهو الواجب تعالى

جل ذكره وجلت عظمته والا ليضطر المشكك
والمنكر أن يتيه فى ظلمات الاوهام وينكر البديهات
والاوليات أو يتمسك بالمستحيلات والممتنعات
مثل الدور وتسلسل العلل وايجاب العلة وغيرها
من الاوهام والشبهات . وهذه هى الحجة الواضحة
لكل الانبياء والمرسلين والمميز الظاهر الفارق بين
الدعاة الكذبة والدعاة الصادقين . غاية ما فى الباب
هو انه كلما كان ظهور الرسول متأخراً كانت الحجة
أظهر وأقوى حسب ناموس التقدم والارتقاء .
فاجاب القسيس بان الادلة العقلية لاتعتبر عند
الطائفة الانجيلية برهاناً يعتمد عليه وطلب منى أن
أستدل له بآيات التوراة والانجيل حيث هي المناط
المعتبر عندهم في مقام اقامة البرهان والدليل .
فقلت له اذا لم تعتبروا الادلة العقلية شيئاً يعتنى به
فاذاً تعجزون عن اثبات حقية سيدنا عيسى عليه
السلام على من لا يعترف بحقية التوراة من الامم

الكبرى مثل البوذيه والبرهمية والزردشتية فانهم
لا يعرفون موسى عليه السلام ولا يعترفون بان التوراة
كتاب الله لتستدلوا بآياته وتحتجوا ببشاراته
فكيف تثبتون حقية المسيح لهم وتقيمون الحجة
عليهم . وهذا دليل واضح لجهلكم بمعنى البرهان
والدليل وعجزكم عن معرفة السبيل ومع ذلك أتنازل
لك وأتلو عليك شيئاً من بشارات الانجيل . فتلوت
الاصحاح المذكور وقلت له ان هذه الآيات
الكريمة تبشر بقيام شاهدين عظيمين لله تعالى
وحقية مسيحه وقد قام السيد الرسول العظيم
وصهره وتلميذه الفخيم ونادا وشهدا بوحدانية الله
تعالى وحقية سيدنا عيسى . فاجاب وقال ليس هذا
معنى الشهادة بل يجب على محمد أن يشهد بان عيسى
قام وخلص العالم ونجّى جميع الامم . فقلت له كيف
نجى وخلص جميع أهل العالم وأنت تعتقد بان
أكثر الامم بقوا في حالة الهلاك الى يومنا هذا

وأنا أسألك عنهم أمة أمة لئلا نتمسك بالموهوم ونفرح بالمعدوم . بالله عليك يا أبا نمرود هل خلص سيدنا عيسى عليه السلام الامة العظيمة البوذية فقال لا فقلت وهل خلص الامة البرهمية فقال لا وقلت هل خلص الامم الزردشتية والفتشية وبل اليهودية تماماً فقال لا فقلت فاذاً نتكلم فى الامم النصرانية بالله عليك فهل نجّي وخلص باعتقادك الامم الكاتوليكية فقال لا فقلت وهل نجّي وخلّص الامم الارثوذكسية فقال لا قلت وهل نجى وخلص اليعقوبية والنسطورية والملكانية وغيرهم ممن ليسوا على المذهب البروتستانى فقال لا فقلت بقى اذاً المذهب الانجيلي ولا بد انك تعتقد أن الصالحين منهم هم أهل النجاة والخلاص وهم جزء قليل من أهل العالم فكيف يصح قولك أنه عليه السلام قام ونجى جميع أهل العالم ولو شهد أحد بهذه الشهادة كيف تصدق عند العاقل شهادته .

وأما نحن لو قلنا ان آباءنا الامم العظيمة أى الفرس
والعرب والترك والخزر وغيرهم ممن يضيق المقام
عن تعداد اسمائهم كلهم كانوا عبدة النار وعبّاد
الاوثان لا يعترفون بوحدانية الله تعالى ولا يعرفون
موسى وعيسى ولكن بشهادة هذا الرسول المجتبى
والنبي المرتضى آمنوا بانه لا اله الا الله وأن
موسى هو كليم الله وأن عيسى هو روح الله وورثنا
نحن هذه العقيدة الطاهرة كابراً عن كابر منهم
وحفظناها في صدورنا ورسمنا حبهم في قلوبنا لما
يمكن لاحد أن ينكره وهذه هي الشهادة الصادقة
والنبوة الواضحة . فقال أى نعم ولكن ما تحصل
هؤلاء الاقوام على نعمة الخلاص بسبب عدم ايمانهم
فلو آمنوا لتخلصوا والخلاص مشروط بالايمان. فاجبته
وقلت اذاً ما حصل الخلاص وما تحقق النجاة فلا
يصدق والحالة هذه شهادة أن عيسى قام وخلص
العالم فكيف تطلب اولا أن يشهد رسول الله بمثل

هذه الشهادة وثانياً مشروطية الخلاص بشرط الايمان ليس خاصاً بسيدنا المسيح بل هي مزية مخصوصة بكل رسول ومنحة ممنوحة لجميع الأنبياء عليهم السلام. أليس موسى عليه السلام لو آمن به كل الناس لخلصهم من الهلاك. اليس كل نبي بعث انما بعث لهداية الناس. اليس معنى الهداية إراءتهم طريق الخلاص أو ايصالهم الى سبيل النجاة فليس هذا أمراً خاصاً ممنوحاً لسيدنا عيسى عليه السلام ليقيم الله تعالى شاهدين عظيمين لشهدان بما لم يقع أولا وليس مخصوصاً به ثانياً والى هنا انتهى بيننا الكلام وتفرقنا بسلام.

فاذا عرفت هذا فلنرجع عما ابتلينا به من التطويل الى ذكر بشارات الانجيل. وجاء في الاصحاح الثاني عشر من كتاب الرؤيا (وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلى رأسها أكليل من اثني عشر كوكباً

وهي حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد ٠
وظهرت آية أخرى في السماء هو ذاتنين عظيم
أحمر له سبعة رؤس وعشرة قرون وعلى رأسه
سبعة تيجان وذنبه يجر ثلث نجوم السماء فطرحها
الى الأرض والتنين وقف امام المرأة العتيدة ان
تلد حتى يبتلع ولدها متى ولدت. فولدت ابناً ذكراً
عتيداً ان يرعى جميع الامم بعصاً من حديد واختطف
ولدها الى الله والى عرشه والمرأة هربت الى البريه
حيث لها موضع معدّ من الله لكي يعولوها
هناك ألفاً ومائتين وستين يوماً) الى آخر الاصحاح
فاعلم ياحبيبي ان في النبوات كلما أشير الى حيوان
أو وحش فانما المراد منه الملوك والدول وكما
استفدت من الايقان المقدس كثيراً ما أطلقت
السماء الى سماء أمر الله وسماء الديانة والشمس
على شمس الحقيقة أي القوة القدسية والروح
الالهية والحقيقة النبوية . والقمر على الفرع الكريم

المنشعب من الاصل القديم أي أول بدر يطلع فى سماء الامر بعد غياب الشمس وهو المعبر عنه بقمر الولاية ونير الامامة . والنجوم على نجوم سماء الدين ودرارى فلك اليقين من الزهاد والصالحين والشهداء والصديقين . فاذا عرفت ذلك فاعلم ان المقصود من المرأة المتسربلة بالشمس في تلك البشارات فاطمة بنت النبي عليه السلام وهى الدرة البهية والكريمة النبوية التي قرنها الرسول عليه السلام بقمر الولاية ونير سماء الهداية أمير المؤمنين على ابن أبى طالب عليه السلام ووعد وصرح بان مهدي آل البيت الذى قضت ارادة الله بان يملأ به الارض قسطاً وعدلا بعد ماملئت ظلما وجوراً انما يظهر من سلالة هذين النورين النيرين والزوجين الكريمين . وقد زين الله تعالى تاج فخار فاطمة باثنى عشر كوكباً من نجوم الهداية وبدور الولاية . وهم الأئمة الاثنى عشر الذين ملأت

فضائلهم متون الكتب والاوراق واشتهرت مناقبهم فى جميع الآفاق رغماً عما أخفته يد الجور والشقاق وسترته مخائل الاستبداد والنفاق ٠ والمقصود من التنين العظيم الذى له سبعة رؤس وعشرة قرون هو الخلافة الجائرة الاموية والمملكة المضوضة المروانية ٠ والمراد بالقرون ملوك تلك العائلة وبالرؤس اكابر تلك الملوك ممن لا يزال أقلام المتملقين (١) ترسم سعة فتوحاتهم والسنة المتشدقين تلهج بكثرة مملوكاتهم من سبايا البلاد ومنهوبات الممالك ٠ ولا يعرفون ان كل ماتذوقه الامة فى زماننا هذا من مرّ العذاب وتشرق فى حلوقهم كدر الشراب انما هو من نتائج تلك السيول

---

(١) اشارة الى بعض الجرائد التى يكتبون فيها فضائل بعض الجبابرة الماضين ويكتمون قبائحهم التي صارت سببا لانحطاط المسلمين فرج الله زكي الكردستاني

الجارفة الجائرة والزوابع الهائلة المدمّرة . ومن
يقارن بين خطبة طارق بن زياد حينما فتح مملكة
اندلس وقصيدة سيد يحيي القرطبي حينما خرجت
تلك المملكة من يد المسلمين يعرف ان الجزاء من
جنس الاعمال . وان الحروب لا تولّد الا الحروب
وان طالت بها القرون والاجيال . والمراد بذنب
هذا التنين أمراء تلك الخلافة الظالمة والملوك
الجائرة حيث كانوا يضطهدون العترة النبوية
ويقتلون كل صالح من الامة الاسلامية وناهيك
الحجاج الظالم الشهير فانه وحده يكفي لغلبة الامويين
على ملوك العالمين اذا افتخر الملوك يوما بالولاة
الظالمين والامراء السفاحين . وقد كانت شعلة سيفه
لواحة للبشر ونار ظلمه لا تبقي ولا تذر . وقد
رأيت في بعض التواريخ المعتبرة وأظنه كتاب
مروج الذهب ومعادن الجوهر ان خالد بن يزيد
ابن معاوية مرّ يوما في سكك دمشق فصادفه

الحجاج فى الطريق فلما رآه خالد قال أيهٍ عمرو بن
العاص اشعاراً بدهائه ومكره فانف حجاج
من هذه النسبة وتشبيهه بعمرو فاجابه وقال أنا
قتلت بسيفى هذا مائة الف من المسلمين ممن كانوا
يشهدون بكفر أبيك يعنى انه خدم الامويين وقتل
من المسلمين فى اقامة ملكهم مالم يبلغ عمرو معشاره
فكيف يضع من قدره ويشبهه به ٠ وممن قتل
بامر حجاج سعيد بن جبير وهو أحد الزهاد
المشهورين ممن قل نظيره فى المسلمين ٠ ومما ذكرنا
تفهم معنى قوله وذنبه يجر ثلث نجوم السماء فطرحها
الى الارض ٠ والمراد بالولد الذى ولدته المرأة وهو
عتيد ان يرعى العالم بعصا من حديد هو الحسين
عليه السلام وهو الذى صعد الى سماء جوار الله
بالشهادة ٠ ومن يراجع خطب أمير المؤمنين وأخبار
أئمة أهل البيت عليهم السلام يعرف المقصود مما
بشر به سيدنا عيسى عليه السلام فى هذه البشارات

ولها اشارات دقيقة ونكات عالية ومعان سامية نصرف النظر عن بيانها الآن لضيق المجال وعدم الفرصة ونرجئها الى فرصة أخرى ان شاء الله

ولما كانت الايام أيام مقتبل شبابك وبدء النشأة فاعلم ياحبيبي ان المناظرة والبحث لها آداب وقوانين يجب مراعاتها عليك لئلا تبعد السائل عن الحق وينتهي الامر الى ضد المطلوب وتجدد الضغائن والاحن الكامنة فى القلوب . فيجب على المناظر ان يحترم مناظره ويراعى عواطفه ولا يؤلمه بالكنايات الخشنة ولا يجرح احساساته بالعبارات المؤلمة وان يكون مقصدهما الافهام والاستفهام لا المهاترة والمغالبة فى الكلام . واذا سمع العالم من مناظره عبارة مؤلمة او كلمة موحشة يجب عليه ان يقابله بالعفو والاغضاء ويلاطفه بالمحبة والولاء ليقربه الى الحق ويزيح عن قلبه غشاوة الجهل والا لينتهي الامر ولا شك الى

المراء والجدال وتوقد نار الحقد فى صدور الرجال
ويأول الامر بينهما أخيراً الى الحرب والنزال . اذ من
المعلوم انه مافتحت أبواب المحاربات الهائلة بين الأمم
الا بعدما وقعت بينهم من المناظرات الدينية وجرحت
احساسات الطرفين ببذاء لسانهم فى الاختلافات
العلمية. فشرعت روساء الأمم أسنة أقلامهم فى تسطير
الردود والاعتراضات والتعريض والتعرض بمن
يحترمهم أصحاب المذاهب والديانات . فكتبوا
ماأمكنهم من الكذب والبهتان على مؤسسي
الأمور وشارعي الاديان . حتى جاشت الصدور
وغلت النفوس فتبدلت حروب الاقلام بحروب
السيوف وتسطير السطور بتأليف الصفوف
فاريقت ما أريقت من الدماء البريئة وهدمت
ماهدمت من البلاد العامرة . مما لا يمكن ان يطلع
على بشاعة منظره وفظاعة مخبره الا رحالة سوّاح
فى الاقطار جوّاب فى الامصار يجوب خلال

البلدان والديار ويرى ببصره آثار مايقرؤه فى الصحف والاسفار . فيقف على تلك الطلول الموحشة والخرائب المستوحشة ويبكي على ماجرته عليها الألسنة الوقحة والأقلام الطائشة . وانى لن أنس أبداً ماعترانى من الدهشة وصادفنى من الحيرة حينما زرت مدينة (شهرستان) سنة ١٨٩٢ من التاريخ الميلادي فى البلاد التركمانية مع بعض أفاضل ضباط الأمة الروسية . فقد رأينا تلك المدينة التى كانت مولد العلامة محمد الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل خراباً يباباً قاعاً صفصفاً لايأوى اليها الا الثعالب والجرزان ولا يمرّ عليها الاّ رعاة القبائل الرحل من التركمان . وحقيقة من يسافر الى بلاد خوارزم ويرى تلك الصحراء التى تقطعها سكة حديد روسيا مدة يومين وليلتين تقريباً من بحر الخزر الى نهر جيحون فبخارا وسمرقند لايرى فيها الاّ اطلال المدن الكبيرة وخرائب

البلاد الشهيرة من قبيل • جرجان • ونساء
ودرون • وابيورد • وشهرستان • ومرو وغيرها
من العواصم التي كانت سابقاً زاهرة بالمعارف
والعلوم وعامرة بالمهن والفنون . بل كانت موئل
المدنية والحضارة ومنبت فروع الخلافة والامارة
ثم آلت أمرها الى الخراب والبوار بما وقعت فيها
من المحاربات الهائلة الدموية بسبب الاختلافات
المذهبية بين السنية والشيعية • فاريقت فيها من
الدماء وهدمت القرى وأيتمت من الاطفال والاولاد
وأستأسرت من النسوان والبنات ما لا يمكن أن
يحصيه المحصون • فلا يرى فيها الا بلاداً
خالية بائرة ومزارع متروكة دائرة ومعالم
موحشة دارسة • ولا بد لله تعالى بسابق عدله
ومحتوم قضائه من أن يطالب هؤلاء العلماء الذين
فتحوا أبواب الخصومة بين الناس وملأوا القلوب
بالعداوة والبغضاء واوغروا الصدور بالنفور والجفاء

بتلك الدماء المسفوكة والاعراض المهتوكة والبلاد الدائرة والقرى والمزارع البائرة . ويكفي العاقل فيما أشرنا اليه تلاوة الاية الكريمة (فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَـكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ

وانى كنت أترقب الفرص دائماً لالقي على مسامع أهل الفضل وأعرض على جنابهم أن العالم بسيره الحثيث الى التقدم والارتقاء لا بدّ من أن يرتقي يوماً فى مراتب حسن العواطف ودماثة الاخلاق ومحامد الاوصاف وطيب الاعراق الى أعلى درجات الـكمال وأرقى مراتب الاعتدال . وتضع الحروب كما تشهد به الـكتب السماوية

أوزارها وتبرز أراضى القابليات كما هو منصوص
في الوعود الالهية كنوزها وأسرارها . فتتغير
أخلاق الإمم وتتلاءم عوائد أهل العالم . فتتبدل
بغضهم بالمحبة وجفاأهم بالالفة وخشونتهم باللين
والملاطفة فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم
مناجل فلا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون
الحرب فيما بعد) أفلا ينظر الينا أخلافنا اذ ذاك
بالاحتقار والازدراء كما نحن ننظر الى السابقين
ويرسمون رسومنا فى صفوف أصحاب البداوة
والتوحش كما نحن نتصور فى الغابرين . ألم يأن لناأن
نقوم من رقدتنا وننهض من كبوتنا ونراجع عقولنا
ونتفكر قليلا فيما يأول اليه أمورنا . فنطرح عن
أعناقنا ثقل العصبية الجاهلية ونمحق عن دفاتر
صدورنا سطور الاحقاد الدينية والمذهبية . فنربى
أبنائنا بالمحبة والرأفة بدل ما كنا نربيهم بالعداوة
والضغينة . ونرسم فى قلوبهم رسوم المودة والولاء

بعد ما كنا نقش فيها نقوش المنافرة والجفاء ۰
ونتلوا على آذانهم آيات الحب والوفاق بعد ما كنا
نقرع مسامعهم بنغمات البغض والشقاق ۰ فتبتهج
اذاً أقطار الارض ببشائر الفرح والسرور وتزهر
رياض الملك بزهور الانبساط والحبور ۰ فنصير
نحن ورثة كلمة الانجيل الجليل (طوبى للودعاء
لانهم يرثون الارض ۰ طوبى لصانعى السلام)
ونكون نحن مصاديق ما نزل فى الفرقان الحميد
(تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا
فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا) ولا يمكن أن تذهب
تلك الاحقاد القديمة من القلوب الاّ بأن تحترم
رؤساء الامم بعضهم بعضاً ولا يتكلم أحد فى حق
غيره الاّ بلسان الادب ولا ينتقد عالم على عالم من
غير دينه ومذهبه الاّ بغاية الاحترام ۰ نعم يجوز
الانتقاد على كل عالم بل الانتقاد من آيات الارتقاء
ولكن النقد غير الشتم والافهام والاستفهام غير

الملاعنة والسباب . فهلاّ يحترم المسيحي مثلا
رؤساء المسلمين فى بياناتهم ومقالاتهم والمسلم أكابر
المسيحيين فى كتبهم ومصنفاتهم والسنى أكابر الشيعة
والشيعي رؤساء أهل السنة لتذهب بتلك الاحقاد
القديمة وتغسل ادران تلك الاخلاق الذميمة لتنبت
فى أراضى الصدور بدل أشواك النفور ازهار
الانبساط والحبور ويرثوا فردوس الانسانية الحقيقية
في جوار الرب الغفور

واني وأيم الحق ماسرّنى شئ من الرسائل
والمقالات فى هذه الأيام الأخيرة بمقدار ماسرّنى
رسالة من الرسائل التى أنشأها الكاتب الفاضل
المجيد حضرة جاد عيد أحد الشبان المهذبين من
الأمة الفخيمة المسيحية والمتخرجين من المدارس
السورية جوابا لصاحب جريدة (ثمرات الفنون)
التي تطبع فى مدينة بيروت فى المسألة التى دارت
المناظرة فيها بين حضرة هانوتو وزير الأمور

الخارجية سابقاً في الممالك الفرنساوية واحد الائمة
الاعلام من محققي علماء الاسلام فى الديار
المصرية فاختلف أصحاب الجرائد فى مصر وقام
كل فريق لنصرة صاحبه فكثر القيل والقال
واشتدت المجادلة والنضال حتي انتهى الامر أخيراً
بينهم الى طلب المبارزة والنزال . وخلاصة مادار
بين الفريقين على سبيل الأجمال هى ان المسيو
هانوتو كتب مقالات متتابعة فى جريدة (الجرنال)
الباريسية فى الديانة الاسلامية والطريقة التى يجب
على حكومة فرانسا اتخاذها فى معاملة رعاياها
المسلمين من أهل تونس والجزائر وسائر البلاد
الغربية . وكان فى جملة ما كتبه هانوتو ان الديانة
الاسلامية مبنية من انقاض الديانة السامية القديمة
ومؤسسة على تلك العقائد السقيمة العقيمة وهى دين
يفضى الى الانحطاط والهبوط ويوجب الكسالة
والخمول لما فيه من الاعتقاد بوحدانية اله منزّه

مقدس عن جميع مايرتبط بالجسم والجسمانيات ولا
رابطة بينه وبين الخلق الا العبادة الأعمى والخضوع
المطلق للقضاء والقدر بخلاف الديانة النصرانية
فانها توجب النشاط والجلاد والتقدم والارتقاء
الى غاية مايتصور فى الكمالات البشرية ومعالى
الرتب الانسانية فانها مؤسسة على أساس الديانة
الآرية التى كانت ديانة اليونانيين القدماء فانهم
كانوا يشبهون الاله بانسان فى أوصافه واعماله
ولا بدّ من ان تفضى هذه العقيدة الى مكان
التقرب الى الذات الالهية حتى يعدّ الانسان فى
مصاف الآلهة السماوية . ثم استطرد الكلام
بكيفية معاملة حكومة فرنسا مع رعاياها المسلمين
وتأسف انها لم تتخذ بعد طريقة معلومة من الشدة
والعسف أو الرفق واللين فى معاملتها مع هؤلاء
المساكين . حيث ان السياسيين ورؤساء أهل
النظر منهم اختلفوا فى هذه المسألة فكيمون

وأمثاله حكموا بوجوب معاملة المسلمين بالشدة
والقسوة بسبب انهم حسبوا الديانة الاسلامية عدواً
لدوداً للديانة النصرانية لِما وجدوا فى أحكامهما من
الاختلافات الفرعية . قال كيمون فى كتابه (باتو
لوجيا الاسلام) ان الديانة المحمدية جذام فشا
بين الناس وأخذ يفتك فيهم فتكاً ذريعاً . بل هي
مرض مريع وشلل عام وجنون ذهوليّ يوقع
الانسان فى الخمول والكسل ولا يوقظه منهما الا
ليسفك الدماء ويدمن على معاقرة الخمور ويجمع
فى القبائح . وما قبر محمد فى مكة الا عمود كهربائي
يبث الجنون فى رؤس المسلمين ويلجئهم على الاتيان
بمظاهر مرض الصرع العام والذهول العقلى
وتكرار لفظة (الله) الى مالانهاية والتعود على
عادات تنقلب الى طباع أصلية مثل كراهة لحم
الخنزير والنبيذ والموسيقي والجنون الروحانى
والاليميا أو المالبخوليا وترتيب مايستنبط من أفكار

القسوة والفجور والانهماك فى اللذات (الى الآخر)
ثم حكم كيمون بانه يجب ابادة نحو خمس المسلمين
والحكم على الباقين بالاشغال الشاقة وتدمير
الكعبة ووضع ضريح محمد فى (متحف اللوفر)
وحكم بعضهم بان دين الاسلام ومدنيّته متصل
مع دين النصرانية ومدنيته بعروة الاخاء
والتصاحب وتطرف بعضهم فاعتبر الاسلام أرقى
مبدأ واسمى كعباً من الدين المسيحى . قال القس
الفاضل والخطيب الطائر الصيت ياسنت لوازون
ان الاسلام هو الدين المسيحي محسناً ومحوراً
ونصح الفرنساويين الذين يتلمسون دياناتهم المفقودة
أن يستعينوا بالاسلام للعثور على ضالتهم المنشوده .
وذهب بعضهم الى لزوم احترام الاسلام حيث انه
بمنزلة القنطرة التى يمكن أن يجتازبها الأمم الوثنية
الافريقية من الديانة الفتشيه الى الديانة المسيحيه .
ثم بعد مانقل مسيو هانوتو تلك الاقوال المتفاوتة

والآراء المتباينة طلب من رؤساء الدولة الفرنساوية
وكبار ساستها أن يتفقوا على مبدء سديد وطريقة
مثلى من تلك الاراء المتضاربة المتخالفة فى معاملة
أمة كبيرة تشتمل سكان نصف قارة افريقيا لتنتهي
الي العاقبة الحسنى فى حفظ كرامة الجمهوريه العظمى .
فلما نشر هانوتو مقالته هذه ووصلت الى مصر
وأدرج صاحب جريدة (المؤيد) ترجمتها فى جريدته
هاجت بها عواطف الامة المصرية حيث انها
كانت تمس كرامة الديانة الاسلامية فكتب الامام
المذكور كما ذكرناه آنفاً رداً عليها فى غاية المتانة
بما لم يسبق له نظير من علماء المسلمين فى هذه
الازمان فى اتقان البيان وقوة البرهان وسلاسة
الكلام وحسن التبيان . فلما أدرج صاحب جريدة
المؤيد مقالة حضرة الامام فى جريدته تلقيها الافاضل
بغاية السرور وابتهجت بها النفوس وانشرحت لها
الصدور . فانبرى لمعارضتها جماعة ممن ينتمون الى

الامة الفرنساوية وفى مقدمتهم صاحب جريدة
الاهرام الشهيرة فانه كتب مقالات متتابعة تارة
فى رد صاحب المؤيد وتارة فى الاعتراض على
أصل مقالات الامام . ومن جملة ما كتب فى
هذا الموضوع هوان صاحب جريدة المؤيد حرّف
مقالة هانوتو وترجمها على خلاف مقصود قائلها .
فلما استفاض الامر واستطار صيته وتجاوزت
أخبار المعارضة والمطاولة من قطر مصر الى بر
الشام وانتشرت هناك مقالات الطرفين سأل
صاحب جريدة (ثمرات الفنون) حضرة جادعيد
المذكورعن حقيقة تلك الامورخصوصاً فى مسألة
التحريف هل صاحب جريدة المؤيد حرّف ترجمة
مقالة هانوتو حقيقة أوهى هى بعينها .فكتب هذا
الفاضل المهذب مع انه في سن الشباب ومسيحى
مستقيم فى ديانته ومتمسك غاية التمسك بطريقته
رسالة فى جواب سؤاله على غاية النصفة والاعتدال

حيث لم نشاهد فيما سبق من ينصف ويحترم من يخالف دينه فى تلك الاحوال . وهانحن نوردها بالفاظها لتكون زينة للكتاب ونبراساً منيراً لأرباب الالباب وهى هذه بعينها

مولاي . مقال هانوتو الذى سبب حركة الافكار واهتزاز الاقلام قد طالعته مراراً باللغة الفرنسوية . وترجمة المؤيد غير مغلوطة . ولكن المسيو هانوتو عند مانقل كلام كيمون كان غير مرتاح اليه وتهكم صريحاً على أفكاره وعلى الحل المتناهي فى الغلو الذى زعم كيمون انه يريد أن يحل به المسألة الاسلامية . فمترجم مقال هانوتو فى المؤيد قد حافظ المحافظة التامة على الاصل . فاكتفى بأن يضع اشارة الاستفهام الانكاري والنقط التى تتبعها . غير ان قراء لغتنا العربية لم يتعودوا على ادراك سر هذه النقط التى اصطلح عليها الفرنجة . ولهذا التبس المعنى وظن الكثيرون

أن هانوتو يصادق على كلام كيمون . ومع ذلك
فقد استأنف الكلام وعاد ثانية الى الاسلام وتبرأ
مما نسب اليه وصرح بميله واحترامه للاسلام
والمسلمين . وترجم مقاله المؤيد وتبعه فى ذلك
الاهرام أيضاً . ثم دخل (اللواء) فى مضمار
المباحثة وتكدر منه محرر الاهرام الفرنسوى
وطالب مصطفى بك كامل الى المبارزة . وتبع ذلك
أقاويل مختلفة وأقيمت الدعوى من تقلا باشا على
صاحب اللوا وتشاتم الفريقان وانحاز الى كل فريق
أنصار ومريدون

مولاى . لو اكتفى المؤيد واللواء بما كتبه
ذاك الامام العظيم لخدما حقيقة الاسلام . لان
الحق يصرع اذا عمد الى اظهاره بالسباب والشتائم .
ولم يكن لرد الامام الوقع العظيم فى نفوس المسلمين
فقط . بل أن كثيرين من أفاضل النصارى قد
أجلوه كثيراً وأحلوه محلا كريماً . ولا أبالغ اذا

قلت لسعادتكم انى قرأته أكثر من عشرين مرة .

دين الاسلام كله شهامة ومروءة وحرّية ومدنية طاهرة . غير ان كيمون والذين على شاكلة كيمون قد تلقوا ما هو معاكس لروح الاسلام والمسلمين وبعيد عن عقائدهم وآدابهم وأخلاقهم . وكتّاب الفرنجة لا يراعون العواطف فى اندفاعهم . وقد كتب الكثيرون منهم فى الطعن على السيد المسيح وعلى طهارة والدته وعلى كرامة تلامذته وتصدى منهم فريق عظيم للتوثب على الاحبار الاعاظم وقالوا فيهم الاقوال الشائنة التى ترتعد لها فرائص الآداب والفضيلة . فالقوم الذين بلغ بهم التمادى والغرور الى هذا الحد أيليق أن نترجم أقوالهم ونذيع ترّهاتهم على رأوس الاشهاد ونحرك ما كمن من الاحتقاد

انى أستحلفك بدينك القويم الذى أشرق

بنوره الوضّاح على البصائر المظلمة فانارها وعلى
العقول المقيدة فارشدها وحل عقالها وعلى القلوب
المتسكعة فايقظها وقوم اعوجاجها أن تحرك قلمك
وتغمزه الى الغاية المحمودة . وذلك فى استنهاض
همم فطاحل كتّاب المسلمين للذود عن الاسلام
بالطرق التى يريدها الاسلام . الطرق التى يريدها
الاسلام لاتخفى على أفاضل المسلمين الذين أشربت
قلوبهم محبة الائتلاف والموادعة والمسالمة وتحريض
الامة على اكتساب الفضائل السامية فى اكرام
الجار وتعزيز حقوق الجوار ومعاملة عباد الله بطرق
المساواة والعدل والولاء . يوجد كثيرون من
الذين لم يتشرفوا بالدين الاسلامى على ضلال مبين
فى أفكارهم وظنونهم نحو الاسلام والمسلمين .
ولكن ضلالهم لاتعفو آثاره الاّ البراهين القاطعة
والحجج الدامغة التى تثبت لهم ان دين الاسلام
دين الحرية المطلقة والحنان الصادق والشهامة

الحقيقية والمحافظة على الاعراق وكرم الاخلاق والعرض والاخلاص والوفاء

أتظن يامولاى ان كيمون يقذف من فيه تلك الاقذار لو كان قرأ فى زمانه فصلا واحداً من الفصول التى دبجتها أنامل أمير المؤمنين الامام علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه

أتظن يامولاى أنه يجرأ على التلفظ بذاك الحلّ الهائل الذى يريد أن يحلّ به المسألة الاسلامية لو كان سمع بحلم وحكمة العمرين وكرم ابن زائده وعدل الرشيد وسخاء البرامكة.

أتظن أنه يحرك قلماً لو علم بان أحقر رجل من المتدينين بدين الاسلام يهرق أخر نقطة من دمه فى الذود عن عرض وكرامة الملتجىء اليه عند ما يسأله الحماية

مهما كان كيمون والذين على شاكلته فى غرور وضلال فانهم لايستطيعون بعد معرفة

الاسلام الاّ الثناء على الاسلام والافتخار بفضائل الاسلام

وكنت أود من صميم الفؤاد أن اضمّ صوتى الى أصوات مقرّرى الحقيقة وأنصح أفاضل المسلمين ان يتخذوا الخطط الصائبة فى مجادلاتهم وكسر شرة المتوثبين عليهم . فالحق أيدك الله فى جانبهم غير ان بعض جهالهم يريدون ان يصرعوه فى تطفلهم على صناعة التحرير والتحبير ولا أكتم على سعادتكم شيئاً . فان الاقلام التى تحركت من بعد ردّ الامام المعتدل المحكم لم تأت بشيء من الفائدة بل أضاعت أو أوشكت ان تضيع الحق الذي بجانبكم وتسبب حركة لا يرضاها عقلاء الامة الاسلامية والسلام

عن القاهرة فى ٩ يونيو سنة ١٩٠٠

ج . ع

(١) ولما غابت شمس الهدي وأفل نير البهاء من الافق الأدنى وتوارت غزالة النور خلف الحجاب الأقصى الاخفى وجادت قرائح أهل الفضل على سبيل الرثاء من القصائد والخطب والقطعات فى تلك الرزية الكبري والمصيبة العظمى بمالا يمكن ان يزيد عليه السنة أهل الشعر والانشاء فتلى ذاك الشاب المهذب المجيد حضرة جاد عيد على سبيل التأبين بهذه الخطابة الغراء والكلم العلياء فى محضر السيد المولى وجماعة من القضاة والعلماء وها نحن ننقلها أيضاً افادة للقراء لتكون قدوة حسنة للكتاب وطريقة واضحة يمشى عليها أرب الالباب

(١) في ٢ ذى القعده سنة ١٣٠٩ هجرية المطابق ١٦ ايار سنة ١٨٩٢ ميلاديه

﴿ من النثر الفاخر ﴾

تنازل يامولاي يافخر الندى وأمير المكرمات وتقبل من مفتون آدابكم عبارات يبعد نطقها عن رقيق معانيكم كبعد الارض عن نور السماء • حاول أن يأتى على ذكر صفة من صفات مولاكم الجليل وسيدكم النبيل وبدركم الساطع وكوكبكم اللامع • حاول أن يصف خطباً ذهلت لديه بصائر أولى الحكمة وحارت عقول أصحاب العلم والفهم

(خطب ألم بكل قطر نعيه)
(كادت له شم الجبال تزول)

حاول أن يصف مصيبة كسفت لها شمس الضحى وأفل بدر المكرمات وكبا زناد المجد وانفصمت عرى العلياء وشوه وجه الحزم والعزم • وغاضت ينابيع المعارف وتنكرت سبلها وأقفرت ربوع المسرة ودرست معاهدها • حاول أن يصف خطب فقيد تقوضت لمنعاه الاضالع وأرتجت لوقعه

القلوب وأستكت المسامع . فشاهدنا الكرامة
تندب حظها والسيادة تبكي حامي زمارها والعلى
يؤبّن ابن بجدته والجود يرثى راعي حرمته
حتى خلنا من الأسى كل طفل
ناتحاً قبل ان يتمّ الرضاعا
وقام مفتونوا بهائه يبكونه عدد إنعامه
وعدله وهبت قلوب أبنائهم تنتحب عليه بمقدار
مازرع فيهامن حبه وفضله . كيف لا وهو الراحل
الذي تولت المكرمات برحيله والواعظ المرشد
الذى هداهم بواسع علمه وجزيل فضله . دأىّ
آثاره لا يندبون بعده وهم لا يطلبون محمدة وعدلاً
إلا وجدوهما عنده . ءآثار علمه التى خزنها فى
صدورهم أم واسع فضله الذى شمل به كبيرهم
وصغيرهم أم أثيل مجده وجزيل حكمته أم عظيم
نبله وشريف كرامته . ولسنا بعدرباسته عناوعلو
مقامه ورفعة شأنه انستطيع الاتيان بجزء من

الواجب فى تعداد صفاته وحسناته ولو جمعنا فى رثائه
جميع ماقيل فى الدنيا من رثاء الملوك والامراء
وأفاضل الناس . فلا محاسن فضله تدرك ولا
مآثر عدله تعدّ ولا فيوض مراحمه توصف ولا
غزارة مكارمه تحصر ولا كرم أعراقه ككرم
أعراق الناس . فان كل هذه الصفات التى كان
فيها آية الله فى خلقه لم تكف بوصف بعثته الشريفة
فهو الامام المنفرد بصفاته والحبر المتناهى بحسناته
ومبرّاته . بل هو فوق مايصف الواصفون وينعت
الناعتون . الراحل الذى لم يترك للناس زاداً غير
أكباد ملتهبة ودمع مصبوب . فكيف يسوغ
وصف من جلت صفاته عن التغيير بل كيف يليق
أن يخزن الدمع بعد فقد هذا السيد الخطير . ولقد

جمد الماء رعبة وارتياعاً
وجرى الصخر انّة والتياعاً

وضياء الهنا استحال ظلاما

وإلى المحو مطلقاً قد نداعا

مذ هوى من أعالي الفضل طود

راسخ جاوز السماك ارتفاعا

وإنا لنجل هذا البدر عن أن يغور فى القبور وهذا النجم أن يبيت تحت الثرى . إنما هو نجم بهاء لم يكن لينتقل إلا فى بروج سعده ويقترن بمنازل عزه ومجده

حاشا علاه من الممات وإنما

هي نقلة فيها المنى والسؤل

ولقد ناداه من أحبه فأجاب بعد أن ترك آثاراً تذكر متمماً بعثته الشريفة وبعد أن أوجد فى هذا الوجود معادن لطف وجود كفى بوجودهم عزاً وشرفاً . فسيادتكم مولاى وأبناءكم الكرام أصحاب المآثر الحميدة تجددون بنور حكمتكم وعلمكم ما سنه نجم بهائكم المنتقل في بروج مجده وان

أحزنكم وأحزن الجميع بنقلته فقد سرّ ملائك دار
النعيم حيث مقره السعيد. فتقبل أيها السيد السند
من عاجز عن ادراك سر معجزاتك ومقصر عن
أداء حق الواجب نحو كرامة عنصرك أنت يامن
زرعت فى قلوبنا بزور المحبة وأستملتنا بكليتنا الى
عشق صفاتك مراسيم التعزية التى نجهل والله
كيف يليق الاتيان بها. فباهر علمك وواسع
حلمك يدركان سر قصورنا وتقصيرنا. أدام الله
بقائكم وحضرات اخوتكم الكرام بالعز والاسعاد
(الفقير جاد عيد سنة ١٨٩٢) انتهى

(هذا) وقد جئنا بهذه الخطابة تذكاراً لعذوبة
ألفاظه ودماثة أخلاقه على علم منا بانه انما تخلق
بهذه الاخلاق بما أشرق عليه من أنوار نير الافاق
وأفاض عليه فى غضاضة غصنه وحداثة سنه من
نفحات أطوار مركز الميثاق

هنا نختم المقال ونرجو منه تبارك وتعالى

أن يؤيدك وايانا في كل الاحوال أنه هو المؤيد المتعال وقد تمت بقلم الفقير أبي الفضل ابن محمدرضا الجرفادقاني الايراني في عشرين من شهر صفر سنة ١٣١٨

فهرست الكتاب

﴿ وفيه ثلاث رسائل ﴾

﴿ بيان الخطأ والصواب ﴾

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
١٩	٠٨	المحابون	المحاربون
٢٠	١٢	عليها	اليها
٢٥	٠٤	في الاسوق	فى الإسواق
٣٠	٠٨	في الجنة العيا	في الجنة العليا
٣٨	١٦	يايها	يا أيها
٦٣	١٢	دليلة	دليلية
٦٨	١٦	في اذهاق	فى ازهاق
٧١	٠٨	الى اولياء	الى الأولياء
٨٠	٠٤	وان كانت	فان تلك وان كانت
٨١	٠٤	ان محمدااذاهو	لو ان محمدا هو
٩٣	٠٥	بنزل	ينزل
٩٤	٠٥	الا يؤمن	لا يؤمن
١٠٤	٠٥	ستدل	استدل
١٠٥	٠٦	كفايةالطلاب	كفاية لطلاب
١٠٨	٠١	كتاب وبيد	كتاب بيد
١٥٨	١٦	الرطان	الرطانة
٢٢٤	١٥	فيه	فيها
٢٣١	٠٥	وقد	فقد